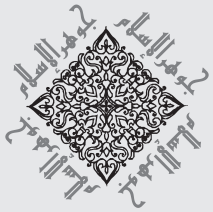

جوهر الإسلام

العدد 6/5 ـ السنة 22
1445 هـ/ 2023 م

صفر 1445 / سبتمبر 2023

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر – تونس 1000
الهاتف الفاكس	00216.71.320.100 00216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

تمّ طبع وإنجاز هذا الكتاب في
Sotepa Grafic
12 نهج الخيرية ـ 1002 تونس البلفيدير
البريد الالكتروني sotepagraphic@yahoo.fr

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج : 40 أورو	بالخارج : 50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1445 هـ/ 2023 م

المحتوى

الافتتاحية: تأسيس المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ووضع ميثاق المواطنة ... 06
رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم 08
الشيخ المجيب المستاوي رحمه الله

تأصيل التّصوّف من الكتاب والسّنّة (القسم الثاني) 11
العلامة الشيخ عبد الله بن بيه

صلتي المُسْتدَامَة بالإمام العلَّامة محمّد الطاهر بن عاشُور رحمه الله (مُعاصَرةً) في المكان و(مصاحبةً) في الزمان ومع مؤلفاته الماتعة ذات الأفنان 24
الأستاذ صالح العَوْد

العلامة محمد الطاهر بن عاشور: من حضارة الإصلاح إلى حضارة المصلحة العامة 28
الدكتور زهيري مصراوي / سفير أندونيسيا

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: القول في كيفية التعامل الصحيح مع أحاديث الرسول الكريم ﷺ 31
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

أهميَّة قِيَم الأُخوَّة الإنْسَانيَّة في تَعزيزِ السَّلام والحِفاظ عَلَيْه 34
فضيلة الدكتور احمد الطيب

أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر 39
الدكتور قطب مصطفى سانو

في رياض السنة: سعة مجالات الأجر والثواب 42
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء مَحمد ابن عباد الرندي النفزي ثم الفاسي (733–792) 51
الأستاذ عبد الهادي هنركامب

الشيخ ادريس الشريف: نبذة عن سيرته وعرض لفتوى التجنيس 58
الاستاذ جهاد الشيخ علي

الدعـــوة الإســـلامية في القـرن العشرين 63
المفكر الهندي وحيد الدين خان

المحتوى

في علاج معضلات الزمان «الفلسفة الغزالية ... نموذجاً» 66
الأستاذ الدكتور محمد البشاري

مفاهيم إسلاميّة الناس ازاء النعم صنفان : إمّا شاكر أو جاحد 68
الشيخ المجيب المستاوي

البلاد الليبية والحفاظ على المالكية 71
الاستاذ ابراهيم الربو

فكرة الندوة الإسلامية بالقيروان 74
الأستاذ الطاهر بوسمة

تقديم كتاب: مختارات من آثار فضيلة الشيخ عمر العدّاسي 78
الأستاذ الدكتور فتحي بن الشريف العبيدي

شخصيّة الإمام البخاري: مَنارُ السّنة المشرّفه 82
صالح العَوْد

خطبة الجمعة: في فضل طلب العلم وتحصيله ومسؤولية الآباء والأمهات في ذلك.. 84

يسألونك قل : حول التطير والتشاؤم ببعض الاشياء 90
الشيخ محمد المجيب النفطي

كلمة ختم السنة الدراسية في معهد الفرع الزيتوني بمدينة قابس التونسية ... 92

إيجاز صحفي عن الندوة التي نظمتها رابطة بني العباس في موريتانيا 93

البيان الختامي للندوة الإقليمية الدولية لوثيقة مكة المكرمة الدورة الثالثة 94
الدكتور أحمد النحوي

هروبي الى الله 96
صالح المحاجّة

SOMMAIRE

Ibn ‘Abbâd, modèle de la Shâdhiliyya 02
Abdel Hadi Honerkamp al-Shâdhilî

الافتتاحية

تأسيس المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ووضع ميثاق المواطنة أهم دروس الهجرة

استقبل المسلمون العام الهجري الجديد 1445 مثلما استقبلوا ما قبله من اعوام بالوقوف عنده من طرف اهل الذكر من العلماء لاستخلاص العبر والدروس من هذه المحطة الهامة من عمر الرسالة المحمدية بمرحلتيها المكية والمدنية وما اكثر دروس وعبر الهجرة وما اقل استفادة المسلمين منها في هذا الزمان بالخصوص. وما نريد ان نتوقف عنده ـ في مفتتح هذا العام الجديد الذي نسال الله ان يلهم فيه المسلمين الى مافيه مرضاته والى مافيه صلاح احوالهم ـ هو رمزية ما بادر اليه رسول الله عليه الصلاة والسلام بمجرد وصوله الى المدينة المنورة قادما من مكة المكرمة وهي مبادرات ثلاثة اراها تمثل سببا من اسباب ما شهدته رسالة الاسلام من نجاح إعترف له بها حتى غير المسلمين من الباحثين والمؤرخين الموضوعيين، انها مبادرت ثلاثة لا رابع لها وهي (بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار وسن ميثاق المواطنة او ما يسمى بدستور المدينة).

فكانت البداية ببناء المسجد حيث بركت القصواء (وهي مامورة) وفي ذلك من الدروس والاشارات ما لا يخفى. فالمسجد هو بيت الله الذي اذن ان يرفع ويذكر فيه اسمه بالغدو والاصال ويعمره المؤمنون بهذا العمل الصالح الذي لا ينبغي أن تشغلهم عنه تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وكل ما يقرب الى الله ليخرجوا منه الى حياتهم الخاصة والعامة متزودين بخير زاد وهو التقوى التي يجتنبون بها كل ما يرديهم مما فيه الضرر العاجل والعاجل ويندفعون بعزم ومضاء الى فعل الخير .فتلك هي التقوى التي ليست بالتمنى ولا بالتحلي ولكنها ماوقر في القلب وصدقه العمل.

في المسجد (الذي هو بيت الله وهو ايضا بيت المسلم كما ورد في الحديث) الذي ينبغي ان يظل قلب المؤمن متعلقابه: فيه السكينة وفيه الراحة النفسية وفيه

الطمانينة القلبية وفي المسجد يتعلم المسلم دينه وفيه يؤدي صلاته التي هي عماد الدين.

بذلك يتبين سبب البداية بالمسجد وهو هدي ينبغي على المسلمين ان يهتدوا به حيثما حلوا في بلاد الاسلام وخارجها.

اما ثاني مبادرات رسول ﷺ **فهي المؤاخاة** بين مكوني المجتمع الاسلامي الاول من مهاجرين وانصار وهو رباط لا يلغي بقيةالروابط الاخرى: اسرية واجتماعية وانما يزيدها قوة ومتانة ويجنبها كل مايمكن ان يقلبها الى عداوة وبغضاء انقذهم الله منها ببعثة من ارسله الله رحمة للعالمين، لقد جعلتهم هذه المؤاخاةفي الله في **توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد** وكالبنيان المرصوص مصداقا لقوله جل من قائل ﴿**انما المؤمنون اخوة**﴾.

وثالث مابادر اليه رسول الله ﷺ هو سنه لميثاق **المواطنة** اوما يسمى بدستور المدينة الذي ينظم علا قة المسلمين بغيرهم ممن هم على غيردينهم فقد سبقت وثيقة المدينة ما سن بعد قرون من مواثيق وعهود ظلت في اغلبها حبرا على ورق يكيل من صاغوها ووقعوا عليها بمكيالين بينما جسم رسول الله ﷺ وثيقة المدينة في حيز الواقع وسار على نهجه من تولوا امور المسلمين من بعده امتثالالهدي دينهم الذي اعلن كرامة كل بني ادم مهما اختلفت اجناسهم واعراقهم ومعتقداتهم مصداقا لقوله تعالى ﴿**ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾ وحمت حقوقهم الأساسية في انفسهم واعراضهم واموالهم من ان تنتهك اويعتدى عليها.

ان دروس الهجرة اكثر واوسع من ان يحاط بها في مثل هذا الحيز (افتتاحية في صفحتين) ولكن ما وقعت الاشارة إليه دون الدخول في تفصيل وتدليل هو مانتصورانه الاساس وخريطة الطريق التي ينبغي ان يهتدي بها المسلمون خصوصا في هذه المرحلة الدقيقة التي يمرون بها والمليئة بالتحديات و إنها اهم ما يستخلصونه من سيرة نبيهم عليه الصلاة والسلام وهجرته في استقبال العام الجديد 1445 فذلك معين لا ينضب يدعوهم الى ما يحييهم ويجنبهم ما يرديهم **ولله الامر من قبل و من بَعْدُ.**

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون**﴾. صدق الله العظيم – البقرة الآيات(16–17–18)

تمضي هذه الايات في وصف أحوال المنافقين وتعري تصرفاتهم الشاذة بضرب الامثلة تارة وبحكايات الاقوال والافعال تارة أخرى وقد قال سبحانه وتعالى هنا فيهم ﴿**اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾ ان حالة استبدال الذي هو خيربالذي هو شر حالة سفه وسوء تصرف لا تقع إلا من غير الرشد أو المنافقين من هذا القبيل ففعلهم إذن فعل من يشتري الضلالة ويدفع ثمنها الذي يقابلها بالهدى المستبين، وليس المراد بالشراء بمعناه الحقيقي الذي هو مبادلة ثمن بثمن وعوضا بمعوض لان المنافقين لم يملكوا الهدى بتاتا فكيف يدفعوه مقابل الضلالة وعلى مثل هذا التخريج حمل ابن عباس رضي الله عنهما معنى اشتروا الضلالة بالهدى اذ قال فيه: اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه اختاروا الكفر على الايمان ولقد استعمل العرب كلمة الشراء في كل من استبدل شيئا بشيء قال الشاعر العربي:

فـــان كنـــت اجهـــل فيكـــم ** فاني اشتريت الحلم بعدكم بالجهل

ولا يعني بها الاستبدال فقط فكانه قال فاني ابدلت الحلم بعدك بالجهل، وكلمة الضلالة تطلق في اصل وضعها العربي على الحيرة وقد تطلق على النسيان لما فيه من الحيرة أيضا وقد تطلق على الهلاك كما قال جل من قائل ﴿**وقالوا ائذا ضللنا في الأرض**﴾ اي هلكنا فيها. وهي هنا محمولة على الضياع والبعد عن الاهتداء. ثم إن المولى سبحانه وتعالى اكد فساد صنيعهم وبطلان اختيارهم بقوله (**فما ربحت تجارتهم**) اي أن هذه الصفقة التي هي ابدال في قالب اتجار صفقة خاسرة وتجارة راكدة وخسارة محققة .واي خسارة أعظم من خسارة من يفرط في اليقين ويعرض عن الهدى؟! ان كل تجارة يمكن أن يرجى لها هبوب الرياح وارتفاع الاسعار وتحرك الاسواق إلا تجارة من يتاجر في الفضائل والمثل والمبادئ فانها التجارة الخاسرة دائما التي لا يرجى لا سواقها حركة ولا لأصحابها ربح، ولذلك قال سبحانه وتعالى بعد نفي الربح عن تجارتهم الذي هو ابلغ من نفيه عنهم قال ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ اي ما كانوا في الازل القديم وما كانوا في الحال المشاهد، وما كانوا ولا يكونون في المستقبل البعيد فهو نفي للهداية في كل مظاهرها واشكالها سواء كانت حسية أم معنوية وهو نفي للهداية في عموم ازمنتها التي يمكن أن تتحقق فيها .وقيل فيه أيضا كالذي استوقد لان المستوقد كان واحدا من جماعة تولى الايقاد لهم فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعا فقال بنورهم ذكر هذا الإمام القرطبي وهو وجيه جميل. ثم يزيد سبحانه وتعالى حالة ضلالهم وعماهم وطغيانهم تشخيصا وتوضيحا فيقول ﴿**صم بكم عمي فهم لا يبصرون**﴾ اي هم صم وهم بكم وهم عمي فهم لا يبصرون وليس المراد من وصفهم بالصمم وبالبكم وبالعمى هو الوصف المطلق اللازم بل المراد به صممهم عن سماع الحق والهدى وبكمهم عن النطق بهما والاعتراف بفضلهما وعماهم عن رؤية ايات الله في الافاق وفي أنفسهم وبذلك لايتسرب إليهم النور من اي افق من افاقه ومثل هذا وارد في اشعار العرب وفي فصيح كلامهم ومنه قول بعضهم، اصم ساه سميع وقول الاخر وراء الكلام صمت عنها ومنه قول الدارمي:

اعمـــى إذا مـــا جـــارتي خرجـــت ** حتـــى يـــواري جـــارتي الجـــدر

وقال بعض العرب لصديقه يوصيه وكان يكثر الدخول على الملوك :

ادخـــل إذا مـــا دخلـــت اعمـــى ** واخـرج إذا مـا خرجـت اخـرس

وقال قتادة رضي الله عنه في معنى الاية (**صم**) عن استماع الحق (**بكم**) عن التكلم به (**عمي**) عن الابصار له: قال الإمام القرطبي رضي الله عنه فهذا المعنى هو المراد في وصف النبي ﷺ ولاة اخر الزمان في حديث جبريل عليه السلام (وإذا رايت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من اشراطها) نساله سبحانه وتعالى أن لا يجعلنا من الصم البكم العمي الذين لا يبصرون الحق ولا يسمعونه ولا يتكلمون به .وبعد أن نفى سبحانه وتعالى عنهم الربح في مبادلتهم وتجارتهم ضرب لنا مثلا يوضح صنيعهم الاحمق الاخرق وهو مثل شخص الحمق والحيرة والعمه فقال ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ انه لمثلهم المطابق لواقعهم المجسم فهو مثل من يوقد النار ليرى ما حوله فإذا به يسلب فجاة من نوره وإذا به في النهاية لا يرى شيئا مما حوله وهذا بالضبط هو الوضع المؤلم الذي عليه المنافقون فهم قد رأوا طريق الله وسمعوا وحي الله واجتمعوا حول رسول الله ﷺ وذلك هو النار والنور بيد أن اولئك المنافقين يحرمون من النور الذي اضاء ما حولهم بل يحرمون منه ومن نور بصائرهم أيضا، وليس السين والتاء في كلمة استوقد هنا للطلب كما هو الشأن غالبا في زيادة السين والتاء بل هما زائدان واستوقد في هذا المقام لا تزيد على اوقد شيئا إلا في اللفظ فقط ومثل ذلك واقع في العربية كثيرا ومنه قول الشاعر العربي:

وداعـا دعايـا مـن يجيـب إلى الندى ** فلـم يسـتجبه عنـد ذلـك مجيـب

فلقد ادت يستجبه ما يؤديه يجبه بدون زيادة في المعنى تقابل الزيادة في اللفظ ولعله مما يستوقف المتأمل في الاية ما جاء من افراد في اولها وجمع في آخرها ﴿**كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ ولقد خرج هذا تخاريج كثيرة اهمها أن الذي كما يجي للمفرد اصالة يجيء للجمع بكثرة ومنه قول الشاعر:

وان الـذي حانـت بفلـج دماؤهـم ** هـم القـوم كل القـوم يـا أم خالـد

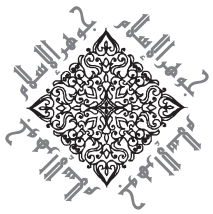

تأصيل التّصوّف من الكتاب والسّنّة (القسم الثاني)

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بيه

رئيس منتدى أبو ظبي للسلم

لقد تصوّر الصوفية السلوكَ سَفَرا إلى الحقّ سبحانه وتعالى، رحلة روحانية على بساط القلبِ، تعرُج فيها النفس بالتدريب والتهذيب، مدراجَ السّالكين وتَتَرَقّى في مقامات القُرْب، رحلة سَبَق فيها المفردون الذين لم تثقل أثقالُ المادّة كواهلهم، ولم تَعُقْهُم العوائق أو تقطعهم العلائق، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهَّ - ﷺ - يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ». قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللهَّ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» وفي رواية الترمذي «الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللهَّ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا».

في هذه الرحلة التي حدّت الشريعة معالمها، ووضعت صُواها، وأنارت محجتها، يؤكّد القوم على ضرورة الصحبة والتحذير من الانفراد، فلا يستغني السّالك على درب الهداية عن رفيق، وذلك لما شاهدوا للصُّحْبَة في الله والمحبة فيه من أثر في النفوس، تهذيبا وتزكية وترقية، فبمجالسة الصّالحين ومخالطتهم والاقتداء بهم تُوقَظ القلوب وتُطرد الغفلة وتتقوى العزيمة ويَزْدادُ الإيمان، فالقلب من القلب مستمدٌّ والروح من الروح تقتبس، والطبعُ كما قيل قديما سَرّاق.

وهذا أصل عظيمٌ من أصول الدين، لم يبْتدعه القَوْمُ ولا اخترعوه، وإنما جدّدوه على حينَ تركه النّاس ونسُوه. فقد دَلَّ القرآنُ الكريم والسنّة النبوية على أهمية الصحبة والرفقة الصالحة على درب الهداية وخطر صحبة الأشرار الموجبة للانتكاس والانحطاط في مهاوي الخسران، فقد قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾، وقال تعالى: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياةِ الدنيا**﴾ وقال تعالى ﴿**الأخلاءُ يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين**﴾، وقال تعالى: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت عُلّمْتَ رُشْدا**﴾، وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : «**إِنَّما مَثَلُ الجلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً**».

ووراء الصحبة درجة الأخوة والمحبة، وهي مقامٌ عال من مقامات الدين، ففي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ**»، وقرَأ هذه الآيةَ: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، وفي رواية: قَوْمٌ مِن أَفناءِ النَّاسِ، مِن نُزَّاعِ القَبائلِ، تَصادَقوا في الله، وتَحابَّوا فيه. ومقام المحبة في الله مقام عظيم ومقصد جلَيل، وفي الحديث الصحيح في ذكر من يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله: «**رَجُلَانِ تَحَابّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرّقَا عَلَيْهِ**».

هؤلاء الإخوةُ في رحلة المعرفة، المشتركون في طلب الحق، تجمعهم المحبة وتربطهم النّصيحة، فكل واحد منهم للآخر مرآة يبصر فيها نفسه، تتسامى أرواحهم بأحوالهم وتستقيم أفعالهم بنصائحهم، حتى يصير كلّ واحد منهم للآخر مُرشدا ومُعينا، فتسهل عليهم الطريق ولا يعوقهم ما فيها من المجاهل التي قد يتيه بها من لا دليل له ولا تخترمه المداحض التي قد يزلق فيها من لا معين له، ولا يجْتالُهُم عن قصدها ما يُلْفى على جانبيها من أسباب الغواية ودُعاة الضلال.

ومن ثمّ اختار جلُّ الصوفية القول باشتراط صحبة الشيخ الكامل المجرّب المحقّق، الذي سلك الطريق فعرفها فصار دليلا للمقتفين، وزكت نفسه واتقدت بالأنوار بصيرته فصار مقباسا يؤجج أنوار صدور السّالكين، قال ابن عاشر:

يصحبُ شيخا عارف المسالكْ ** يَقِيهِ في طريقه المهالكْ
يذكره الله إذا رآهُ ** ويوصلُ العبدَ إلى مولاهُ

يرشده بقوله ويأتسي بفعله ويمدّه بهمّته، يتأدّب بآدابه، ويحلّ به المنازل، ويجتاز به المراحل، حتى يوصله إلى الغاية المنشودة. فكما أنّ الفقه يحتاج إلى شيخ كامل لإرشاد الطالب إلى مواطن الاشتباه فكذلك علم أحوال النفوس وأمراض القلوب يحتاج فيه إلى شيخ قد عرف أحوال التقوى وسبر حالات النفوس وخبرها.

وهذه مسألة عند العلماء لا تخرج عن مسألة الصحبة المدلول عليها بحديث سلمان وأبي الدَّرْدَاء، ففي البخاري عن أبي جحيفة أنه قال آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**».

وقد بنى الفقهاء على هذا الحديث مسألة جواز إفطار الصائم في التطوع بأمر الشيخ. قال في المختصر (إلا - لأمر - كوالد وشَيْخ وإنْ لمْ يحلفا). وفي الشروح أن أمر شيخ الصُّوفيّة الذي أخذ عليه العهد أوْلى.

إنّ ظُهور المُصلحين في الأمّة الذين يُجَدّدون للنّاس إيْمانهم بنفثهم في الأعمال روحها وربطهم بينها وبين مقاصدها الحسنة، مِصْدَاقٌ للوَعْد النّبويّ الشريف. فعندما يقع الانبتات الذي تحدَّثَ عنه الإمام الغزالي بين حقائق الأعمال وصورها، فلا يبقى منها إلا رسومها ويستغني الناسُ بقشُورها، يقيّض الله للمسلمين من يدلّـهم عليه، ويجذبهم إليه، بالحكمة والموعظة الحسنة.

فمن هؤلاء الأعلام الهداة المهديين بعد عصر الصحابة حبيب العجمي وداود الطائي وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وذو النون المصري ومعروف الكرخي والسّري السقطي والحارث المحاسبي ثم جاء الإمامُ الجنيد، فأحيى الله به هذا العلم ومهّد منهجه السّنيّ ونفى عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ووضع أسسه النظرية، فكل من جاء بعده تبعٌ له في ذلك. وقد تبلورت تعاليمه في إطار جامع على يد شيخ التصوف الرياضي الإمام أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين.

ثمّ نضجت التجربة الصوفية في الأمة وفشت المدارس وتنوعت وصنفت التصانيف، وظهرت الخانقاهات والزوايا ووقفت عليها الأوقاف، وتشكّلت الطرق ذات البعد الإداريّ المنظّم، وهي في أصلها مناهج مستنبطة واختيارات اجتهادية وإلهامية، ضمن ما تتيحه دائرة الشريعة الرحبة، تستلهم من تعاليم شيخ مؤسّس. وهي في بُعد ثانٍ مُؤَسَّسَاتٌ اجْتِماعيّةٌ، وتعاونيات خيريّة وتدابير إنسانيّة، توفّر لأعضائها البيئة المناسبة للسّلوك والتربية. فإنّ العَمَل الصّالح لا ينبت إلا في بيئته الملائمة، والنفوس الزكية لا تنمو وتزدهر إلا في الحاضنة السّليمة، التي تضمن لأفرادها أسباب العيش الحَلال وتشغلهم بشواغل الخير عن شواطن الشر.

ورغْم ما قد يُؤْخذ على كُلِّ تجْربة إنْسانيّة من المآخذ وما قدْ يَعْتريها لدى التّنزيل من الانحراف، قليله أو كثيره، عن مقاصدها الأصليّة، إلا أنّ هذه الطُّرُقَ يشْهد لها التاريخ بدورها العظيم في نشر الإسلام والدّفاع عنه وترسيخ قيمه ومعانيه في النُّفوس.

وهكذا لم يخْلُ عَصْرٌ من العصور ولا مصر من الأمصار من شيوخ تحقّقوا بميراث النّبوة في الإرشاد والتربية وقيادة النفوس في سَيْرِها إلى الحقّ، ينطقون بعلوم القوم، وينشرون بين الأنام مقاماتهم ويصفون للخلائق أحوالهم، فسقى الله بواسطتهم أناسيَّ كثيرا وشفى أدواء دويّة ونوّر قلوبا غلفا، وشرح صدورا وهدى بصائر عليها غشاوة.

فمن أئمة الهدى الذين استنارت به الأمّة وكشفت الله به عنها الغمّة، الإمام أبو الحسن الشاذلي، مركز الدّائرة وقطب الرّحى، البحر الفرات الذي لم تزل الأجيال تلوَ الأجيال ترد زُلاله، فينقع صداها ويصدرها رواءً من العرفان، فمنه استقطبت الأقطاب، وبه خفقت على رؤوس السّادة من أتباعه ألوية الولاية.

وقد أجمع أهْلُ عصره على تقديمه وسلموا له بذلك تسليما، فكانوا يحضرون مجالسه مقرين له بالتبريز وهم علماء الدنيا، وحسبك بمجلس تلقى به الإمام العز بن عبد السلام، وابن الصلاح وابن الحاجب وتقي الدين بن دقيق العيد والحافظ المنذري، فإنها الكرامة الظاهرة والشهادة الصادقة على علوّ مقامه وشفوف رتبته.

ظهر الشاذلي في عصر ماجَت فيه الفتن واضطربت القيم، والتبست المفاهيم، فادّرع التصوّف السنّي جلابيب قاتمة من بدع المذاهب الفلسفية، أذهبت رونقه وأحالت بهجته، وكادت تذره أثرا بعد عين، فأحيى الله بالشاذلي ذماءه وتدارك عثاره، وأقام سمك بنائه وأزاح عنه حنادس الشُّبَه، فوصل ما انفصل منه بأصله النّبوي، إذ «كلّ نور لا يوقد من سراج المشكاة النبوية فهو عين الظلمة».

ثم لم يزل وارثو سرّه من بعده على هذا المهيع الواضح، نجوما طوالع في مجرة العرفان، يقتفي هادٍ إثرَ هادٍ، ويحمل سيّدٌ عن سيّد، حتى طلع في سماء التوفيق مجدّد الطريقة ووارث سرّ الإمام الشاذلي، «والليث يسري سرّه في الفرهد»، سيدي محمد بن ناصر الدرعي، الذي نصر الإله به الشريعة، وأحيى به السنة وأخمد البدع، وقد وافى في عصر دجت فيه ظُلَمُ الضلالة ووري زند الجهالة، وطمست معالم الدين، و«باض النّعام بدور منه أدراس»، فغدت ببركته ودَعْوتِه السّنّة الغراء مسفرة ضاحكة مستبشرة.

ولنجمل القول في القوم، ولننشد مع ابن عاشر:

يصحبُ شيخا عارف المسالكْ ** يَقِيهِ في طريقه المهالكْ
يذكره الله إذا رآهُ ** ويوصلُ العبدَ إلى مولاهُ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

من هذا التراث الروحي الثري ومن هذا الأفق العليّ تبدّت مشارق أنوار الطّريقة الأغظفية، في هذا القطر المبارك، على يدِ «شيْخِ الشّيوخ» و«سلطان الأولياء» الشيخ محمد الأغظف بن حمى الله بن سالم الدّاوديِ الجعفري. فهو المعلّم الأوّل والأرومة التي طابت بطيبها الفروع.

فانتفع المريدون بتربيّته وشهد الأكابر بعظيم خصوصيته، وحسبُك بالشيخ

سيدي المختار الكنتي والشيخ المختار بن أحمد بن عثمان التنواجيوي، فالنقل مشهور محفوظ برواية العدول عنهما، بثنائهما العطر عليه وإشادتهما بفضله.

بل لا يكاد يُلفى أحد من أهل عصره فمن بعدهم من العلماء المقيمين لشعائر الدين، ولا من الأولياء العارفين، إلا له به نوعُ من التعلّق وله إليه ضرب من الانتساب، بل كثير منهم نالوا الفتوح السَّنِيّة ببركة صُحبته ومحبّته، ومن ذلك أن الشّيخ محمد فاضل بن مامين، وناهيك به جلالة قدر وعلوّ منزلة، نقل عنه تلميذه اليعقوبي في الضياء المستبين أنه زار ضريحه بأمر من والده، يحمل رسالة وهدية، فنال خيرا كثيرا وفتحا عميما، وفي هذه الزيارة قال قصيدته التوسلية الشهيرة:

يـــا ربنـــا بصاحـــب الضريـــحِ ** قطـب الزمـان الأغظـف النّصيـح

وقد كان الشيخ محمد فاضل يُعطي ورد الشّيخ محمد الأغْظَف، كما جاء في المعسول رواية عن الشيخ أحمد بن الشمس الحاجي عن الشيخ ماء العينين رحمهم الله جميعا.

وكفى شهادة للشيخ محمد الأغظف ما رزقه الله من الفَتْح في تلاميذه، فهو المقدمة وهم النتيجة، والنتيجة أبدا تابعة للمقدمات، رفعة وخسة، والفرعُ يدلُّ على طيب أصله، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، وما في المبتدإ من الابهام يزيله الخبر.

فمنهم العلماء المدرّسون أهل السنّة والاتباع، الماثلة آثارُهم للعيان، ومنهم الصلحاء المربّون المحفوظة مآثرهم في الأذهان، كالشيخ محمد الأمين ولد الطالب عبد الوهاب الفلالي والشيخ الشريف سيدي محمد بن أحمد الأسود، والشيخ المختار بن الطالب أعمر بن نوح البصادي وغيرهم.

وبالجملة فإن قدر الشيخ محمد الأغظف عالٍ وذكره سام، على أن أمرَهُ مبْنيٌّ على الخفاء، فقد كان في حياته مجبولا على حبِّ الخمول والتواضع، يتستّر بأحواله الظّاهرة، معرضا عن زينة الدنيا وزهرتها، مُقْبِلا على شأْنه، فهو كما قال الشيخ عالي بن آفه قد تشبّع من العرفان حتى غدا كالسّقاء الممتلئ، لا يُسمع له صوت.

وقد ورث هذه الحال من بعده أئمة مهديّون نشروا الدّين في البلاد وبثوا العلوم بين العباد، فكم من تائب ثاب إليهم فتغيّرت أحوالُه وتبدلّت، وأصلح وأناب،

وكم من غافل تيقّظ وجاهل تبصّر وكأيٍّ من قلب كجلمود الصخر أو كالليل البهيم لانَ للحقّ وتنوّر بالحقيقة، فبنحو هذه الآثار الجلية، يظهر لذوي الأبصار السليمة فضلُ أئمة الطّريقة الدالّين على الله بالله.

وما زال نجم إثر نجم منهم، حتّى تأدّت الوراثة إلى المعلّم الثّاني، الشّيخ محمد محمود الخلف بن الشيخ سيدي أحمد البصادي، ملتقى بَـحْرَيْ الحقيقة والشريعة، كما قال الشيخ عالي بن آفه:

فـإن تجـارهِ بـشرعٍ آبي ** يُنْبِئْـكَ مـا خفـي مـن الأنـداب
وإن تُبَـاهِ في الحقيقـة البَهِـي ** وخُضْـتَ مَعْـهُ في البحـار تنتـهِ
يقـولُ حـين لم تُحِطـه خُـبرا ** إنـك بي لـن تسـتطيع صَـبْرا

خلاصة القوم وواسطتهم، أظهر الله به أنوار سلفِه الغُرِّ الـمُتقدّمين، شيخ أبيه الشيخ الكبير سيدي أحمد بن عمار بن الناه، وشيخه الشيخ المختار بن الطّالب أعمر بن نوح البُصاديّين، ومهّد به الطريق للـخَلف المتأخّرين على يد أبنائه الأعْلام وخلفائه الكرام، فنفع الله بهم البلاد والعباد. وقد عرف رضي الله عنه بالفناء في الله، حتى إنه ليغيب عن المحسوسات رأْسا، فلا يبقى له حظٌّ من جميع الأمور إلا إلى الله تعالى. ومن هذا القُطْبِ انبجست ينابيع المعرفة التي رَوَّتْ ظماء السّالكين في كافّة أنحاء العالم.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وسأكتفي في هذه السّانحة بثلاث كلمات مقتضبة، عن أنواع الجهاد في هذه الطريقة، جهاد النّفس وجهاد العدو وجهاد العمران.

وذلك أن مدار طريق القوم على التحقّق بمفهوم الجهاد بمعناه الشامل، فالجهاد في الإسلام يغطي ثلاثة ميادين: مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان والنفس، وجهاد العمل.

فأما المعنى الأول فمعلوم مشهور، وأما المعنيان الأخيران فقد وردا في أحاديث منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن فضالة بن عبيد أنه ﷺ قال: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل.» وقد عنون به الإمام

البخاري أحد أبواب جامعه الصحيح.

وقد جاء في حديث ضعيف رواه البيهقي عن جابر أنه عليه الصلاة والسلام قال– عند عودته من آخر غزوة له، غزوة تبوك: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. وفسّره بمجاهدة الهوى. وفي الحديث مقالٌ ورجّح ابن حجر أنه من كلام إبراهيم بن أبي عبلة، وليس بحديث.

وخدمة الوالدين جهاد قال عليه الصلاة والسلام : «ففيهما فجاهد»، متفق عليه.

وفي الحديث الصحيح عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال مرّ على النبي ﷺ رجلٌ فرأى أصحابُ رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان».

ومن هنا عرّف الشيخ تقي الدين بن تيمية، في اختياراته التي جمعها البعلي، الجهاد بأنّه شامل لكافة أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، والتي منها: محبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر، والزهد، وذكر الله تعالى ومنه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، ومنه ما هو بالدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة والمال.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

فأما مجاهدة النفس فذلك ربع عزة القوم ومجرّ عواليهم ومجرى سوابقهم، فما إن لهم غير محضِ الإخلاص غايةٌ، وإنَّ لهم لغيرةً على الباطن كما يغار الكريم على الحريم، فلا يطلعون عليه متحسّسا ولا يتسوّر عليه متجسّس، بل ينأون بأعمالهم عن سوق الحظوظ وتجاذب الأهواء، ويستنكفون عن إضاعة العمل بالمراءاة والتسميع، ويسترون بأحوالهم العادية عن غير الحاذق البصير، ويتخفون بحُجُبِ الطَّبيعة عن الظهور القاصم للظّهور، وفي هذا المعنى يقول الشيخ عالي بن آفه عن شيخه الشيخ محمد محمود الخلف:

كفى من التَّفْتِيشِ ما قدْ وَكَفَا ** فالشّيخُ مجبولٌ على حُبِّ الخَفَا

ولا يقبلون للنفس حياةً، ولا يقنعون بدون إماتتها التامّة في سبيل الله، حتى لا يبقى لها أدنى وجود مع باريها. فشيخ الطّائفة ومعلمها الأوّل الشيخ محمد الأغظف:

أماتَــهُ الإلــهُ في الحيــاةِ ** وأظهــر الحيــاةَ في المــماتِ

فموته بالخمول والتواضع، وظهور حياته بعلوّ مقامِه وبما أوصل في حياتِه وبعد مماتِه من السالكين، وبما سقى من المريدين. ويروى عنه رحمه الله أنه كان يقول عن نفسه تواضعا «أنا تحت أم البَيْنَهْ»، وهي نبتة صغيرة في غاية الالتصاق بالأرض. ومن مأثور كلامه كذلك : «من كان مفتخرا فلينتظر حتى يُوارى في القبر، فحينها فليفخر أو ليدع».

هذا المنهج الذي يقوم على إماتة النفس، وهضمها حتى تنمحي أمام القهر والأمر الربانيين، وتسلم بهما وترضى، فتسلب الإرادة سلبا كاملا حتى كأن لا إرادة أصلا لدى المريد، هو الذي جعل الشيخ عالي بن آفه يقول ناطقا بفضل تربية شيخه الشّيخ محمّد محمود الخلف: «ما من شيخ إلا وله في تهذيب النفس أثَرٌ، بيد أن شيخي» أنا «يسلخ النّفس سلخا حتى لا يذر منها شيءا».

وبهذه المجاهدة رام الغُظف التحقّق بمقام التوكُّل ليبلغوا فيه التحقُّق التَّام والتمكُّن الأكمل، فلم يكونوا يقنعون من هذا المقام بالاسم، بل يسعون إلى تجسيده في أحوالهم وأفعالهم، والتوكّل مقام موسوم بمحبة الله لصاحبه ، وصاحبه مضمون الكفاية من الله كما نطقت بذلك الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، قال تعالى : ﴿**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إن الله يحبُّ المتوكّلين**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ومن يتوكّل على الله فهو حسبه**﴾.

مع أن التوكّل كما قال الغزالي غامض من حيث العلم شاق من حيث العمل، ولا يقوى على كشف هذا الغموض ومكابدة هذه المشقة إلا «سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا».

وتلك حال أئمة الطريقة الغظفية، فلقد راموا الجمع في تحققهم بهذا المقام بين مقتضى التوحيد بقطع ملاحظة الأغيار والتوكل على الواحد القهار، وبين مقتضيات النقل والعقل في عدم مراغمة الأسباب والجرْيِ على وفق سُنن مسبّب الأسباب،

والتقلّب في شؤونهم وفق ما اقتضاه الوقتُ وأعطته الحال من غير تكلُّف ولا ادعاء.

فشيخ الطائفة الشيخ محمد الأغظف رحمه الله كان من السائحين المنقطعين المتحققين في مقامات التوكّل، متمثلا لما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أنكم تتوكّلون على الله حقّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً».

ومن مواقف القَوْم الجميلة المعبّرة عن صدق إيمانهم وعلوّ مقامهم واعتمادهم على مولاهم سبحانه وتعالى، ما رواهُ الثقاتُ أنّ الغُظْفَ لما اقترب المستعمر من آدرار، شقّ ذلك عليهم، وساورهم قلق وخالجهم تهمُّمٌ على الشّيخ محمد محمود الخلف رضي الله عنه، وأخذوا يتداولون في ما ينبغي فعله، والمرجفون من حولهم يشيعون الأخبار، لما اشتهر به الغظف من المشاركة في المقاومة ودعمها، ففَطن لهم الشَّيْخُ رضي الله عنه، ولاحظ ما هم عليه من الهمِّ، فقال لهم مطمئنا ومتحدثا عن حالٍ: « مَحَدْ مُولانا حَي، لا يخاف عليّ حَدْ، فإنما أتوكّل على الحيّ الذي لا يموت، فما دام هو المدبر لخلقه والأمرُ أمرُه، فلا ينبغي لأحد أن يخاف عليّ».

على أن الغُظف لم يكونوا ينتحِلون هذه الأحوال أو يتكلّفونها بل ظاهر أمورهم الجَرْيُ على الأسباب المشروعة من غير ركون إليها ولا اعتماد عليها، فاشتغلوا بعمران الأرض بالزراعة وغيرها، بل كان منهم من بُسِط له في الرزق بفضل الله ومنّه فما رأوا في ذلك ضيرا ولا اعتبروه نقصا في التوكل، لأن التوكل حالة قلبية، قد تحصل لدى المتسبب، كما قد تنتفي لدى المتجرّد.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وأما مجاهدة العدوّ الظاهر، فلقد كان الغُظف أهل الجود بالنفس كما هم أهل المسالمة التامّة مع الناس، ما إن حفظ لهم حديثُ سبة أو فعل طيش، بل دأبهم العفو والصفح والمغفرة، والمسالمة عملا بقوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وفي رواية صحيحة «من سلم الناس من لسانه ويده»، بيد أنهم عندما تعيّن الدفعُ لم يكعُّوا وبذلوا أرواحهم واسترخصوا أنفسهم في سبيل الله، فشاركوا في المقاومة الوطنية في مرحلتها الوحدوية.

فأول ذلك ما قام به الشريف الغظفي سيدي ولد مولاي الزين من قيادة السرية المشهورة التي قتلت كَبُّولاني، وقد كان الشريفُ فيما بلغنا يحمل سيفا أعطاه إياه

شيخه الشيخ محمد محمود الخلف رحمه الله.

ثم شارك الغظف في يوم النيملان، يوم 5 نوفمبر 1906، وكان يوما مشهودا اجتمع فيه الموريتانيون من كلّ أنحاء بلادهم لمقاومة المستعمر، وأوفد إليهم السلطان من المغرب نائبا عنه من أهل بيته، فانتصروا وهزموا عدوهم. وقد قدم وفدٌ من القُظف في الحوض، من المساعيد، للمشاركة مع إخوانهم في تكانت، وقدموا على الشيخ الغزواني رحمه الله ضمن وفد الحوض الذي يرأسه الأمير اعلي ولد المحيميد، فأكرمَ الشَّيْخُ نُزلهم وأحسن وفادتهم.

ومن شهداء يوم الدار بتجكجه الشّيخ محمد المختار ولد الشيخ الخلف رحمهما الله، وقد حدثني شيخنا رضي الله عنه أنه كان يستهدِفُ أثناءَ المعركة لرمي العدوّ ويتعرّض لهم، فصار الغُظْف يقولون له «يابن شيخنا انحنِ لا يصيبوك»، فيقول «اليومُ ليس يومَ الانحناء»، فأصابته رصاصةٌ فمات شهيدا رحمه الله.

ومن الغظف طائفة اختارت الهجرة لما تغلّب المستعمر على البلاد، بينما ارتأى الآخرون ضرورة الإقامة، فما رُوِيَ أن أحدا من الفريقين عاب على الآخر صنيعه واختياره، فيروى أن الشيخ الشريف محمد الأمين ولد زيني عرض على الأمير المشظوفي العادل محمد المختار ولد محمد محمود الجهاد، فلم يجبه إليه لعجز المسلمين وتفرقهم وضعف عددهم وعتادهم، فهاجر الشريف بمن معه من الغظف، وأخبار هجرتهم واستقرارهم في المشرق مشهورة.

وقد شاركوا في حركات المقاومة في البلدان التي مرّوا بها وأظهروا حيثما حلّوا شجاعة وإقداما عظيمين، فيروى أنهم شاركوا في بعض المعارك، وكان قائد الجيش حاضرا يشرف على ساحة المعركة، فدارت رحى الحرب وحمي الوطيس، فقال القائد للشيخ محمد الأمين: يا شيخ إنّي أرى أصحابك قد انهزموا، فقال كلا والله لا ينهزمون فهم الأشدّاء من أبناء العرب، ثم ما لبثوا أن انجلى القسطل، فإذا بهم صامدون، وقد أحاط بهم العدوّ من كل جانب، فقال القائد إعجابا بما رأى: «يا ليتني كنت من المحلّقين».

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

أما جهاد العمل والعمران، فإن للغُظْفِ به عنايةً كبيرة، فإن من شأن أرباب

الصدور الذين أقامهم الله في الناس مثابة للتربية ومهوى للأفئدة، أن تسمو بهم همهم العالية إلى أعمال البر المتعدية، فهم وإن كانوا في الدنيا من الزّاهدين، إلا أنّ المسؤولية التي أناطت بهم الحال، تبعثهم على البحث عن الكسب الحلال، الذي به قوام عيشهم وعيش من يتعلّق بحضرتهم من آلٍ ومريدين وطلاب وجيران، وقوت من يلمّ بهم من ضيف وابن سبيل، وحاجة من يقصدهم من مُعْتَفٍ ومُعْتَرّ.

وهذا هو أحسن الكسب الذي لا يقصد به التكاثر وإنما يقصد به التوسّل إلى طاعة الله من صلة الإخوان أو التعفّف من وجوه الناس، و«**خير النّاس أنفعهم للناس**» كما في الحديث، وكما قيل «**عبادة الرجال منافع المسلمين**».

ولقد اتخذ الغظف العمل شِعارا، والخدمة دثارا، فنبذوا البطالة وامتهنوا أنواع الحرف كالزراعة والتجارة، فحققوا بذلك اكتفاءهم الذاتي، وسدّوا حاجاتهم، فتفرغوا لما خلقوا له من عبادة مولاهم العلي.

فالعمل عندهم فضيلة أخلاقية لتربية النفس وتزكيتها، وهو واجب ديني أمر الله به عباده، وهو قيمة حضارية بها تتحقّق الخلافة في الأرض، وقد كان للنّساء كما لأشقائهن من الرجال، دورُهن البارزُ في الخدمة والعمل.

ونورد هنا شهادة للحاكم الفرنسي روجى بيرى Roger Pierret حول أنشطة زاوية الغظف في لغويرقة، والتي تعتبر نموذجا لما كانت عليه أخواتها من حضرات الطريقة في آدرار وتكانت والأردن وأضنة، قائلا: (في مجال الزارعة، تنبغي الإشارة إلى جهود الغظف المميزة. فالغظف أناسٌ هادؤون يمتازون بالصدق والصراحة وبالمثابرة والجدّ في العمل، وتلك خصال نادرةٌ في المُجتمع... الجميعُ يعْمَلُ في انتظام مثالي، فلكلِّ واحدٍ مُهمّته الخاصّة المحدّدة له بوضوح...ومن حصاد مزارعهم قوتُهم وصَدَقاتهم كما يتبرّعون للآخرين بما يفضل عن حاجاتهم... وإنّ هذه الجهود التي يقومون بها في إعمار الأرض لتستوجب الإشادة وتسحق المساعدة).

هكذا حقّق مشايخ الطريقة والمريدون المخلصون من الغُظْف نموذجا حيّا من المدينة الفاضلة، التي لا يسعى أهلها إلا في الحقّ، من أفعال البر التي تنجي في المعاد أو تنفع العباد.

الحـقُّ سَـعْيٌ في المَعَـاشِ البَـادِي ** حِـلا وفي حَسَـنَة المعـادِ

على حد قول الشيخ المختار بن بونه الجكني، ففي حضرات الغظف اجتمعَتْ معاني التربيّة والتغذيّة الروحيّة والجسديّة.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

على أنّ هذه حكايات سمعناها من ثقات، لم نصدر في ذكرها من منطلق التزكيّة، فلا نزكي على الله أحدا، هو سبحانه وتعالى أعلم بعباده، وهو حسيبُهم جميعا، نسأل الله أن يمنّ علينا وعليهم بالمغفرة والرّحمة.

وإنّما لكلِّ عَصْرٍ تحدّيا، وإن تحدّي عصْرِنا هو المحافظة على الأخلاقِ ، فلعلّ هذا الكتاب وما حواه من نشر الفضائل وإظهار الخير يسهم في الدعوة إلى إحياء ما ضمُر من القيم، وتجديد ما اندرس من الفضيلة، فإن أخبار الأولين وسير الصالحين، تحيي القلوب وتوقظ النفوس وتغرس في وجدان الناشئة علوّ الهمة وتسمو بهم إلى معالي الأمور، **(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)**.

كما أن الأمة محتاجة إلى تجديد الإيمان وربطها بغذاء الأرواح، والإكثار من الذكر الذي هو مفتاح تزكية النفوس؛ فالأمة تفتقر إلى مرشدين ربانيين يحيون وظائف الذكر ويرقون في مدارج السلوك إلى مقامات الزهد والصبر والشكر

حتـى بـدَتْ لهُـم شـموسُ المَعْرِفَـهْ ** رَأَوْا مُـخَـدِّراتها مُنْكَشِـفَهْ

كما قال الأخضري: فتشرق السرائر وتستقيم الظواهر فتتطهر القلوب من الغلّ والرياء وتتنزه الألسنة من الغيبة والفحشاء.

ولهذا فإني أوجّه دعوة لتجديد هذا العلم بإيضاح فضائله، وتفصيل مسائله، ووضعه في صحيح إطاره وإظهار ما ألصق به مما ليس داخلا في حقيقته، ولا موافقا لطريقته. فبذلك تحيى القلوب وتشرق الأرواح، وفي ذلك حياة الدّين، لأنه إحياءٌ لعلوم الدّين، وهذا التجديد المنشود يبدأ بإزالة الجفوة بين الفقه والتصوّف فهما صنوان و«شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى وحقوقه» على حد عبارة سيدي أحمد زروق.

صلتي المُسْتدَامَة بالإمام العلَّامة محمّد الطاهر بن عاشُور رحمه الله (مُعاصَرةً) في المكان و(مصاحبةً) في الزمان ومع مؤلفاته الماتعة ذات الأفنان

بقلم الأستاذ صالح العَوْد

(باحث وكاتب خمسين عاما) مقيما في بلاد الغرب

حمدًا لله تعالى.. يُوَافِي نِعَمَهُ، ويكافئُ مزيده، كما يجب ربنا ويَرْضَى.. والصّلاةُ والسَّلام: الأَتمّان الأكمَلان، على سيِّد الخلق، وحبيب الحقّ.. المبعوثِ نعْمة.. ورحمة للْعَالَمِين، كما نَوَّه ربنا عز وجل بذلك فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾. وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار: مادام الليل والنهار.

أصحاب الفضيلة:

– الأستاذ الشيخ: سيدي محمد صلاح الدين المستاوي مدير ورئيس تحرير مجلة جوهر الإسلام، حفظه الله.

– معالي سفير بلاد أَنْدُونِيسيَة بالحاضِرَة التونِسِيَّة: الأستاذ زهير المِصْراوي، حفظه الله.

– الاخوة الطلبة، والأخواتُ الطالبات: الأفاضلُ والفُضْلَيَات، مِمَّن قَصَدُوا دِيَارَنَا التّونِسِيَّة الخَضْرَاء: لَهَفًا ونَهَلًا من العُلومِ الشرعيَّة والعَرَبيَّة، بارَك الله في مسْعاكُم جميعًا:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته!.

أهلًا وسهلاً بحضور الكِرام، في هذا اللّقاء (التَّذْكاري) الهَام، بمناسبة مُرور (خمسين) عاما على رحيل إمامنا: علّامةِ الزمان، وشيخ هذا المكان: سيّدنا محمّد

الطاهر بن عاشور رحمه الله، وطيّب ثرَاه، وجعل الجنّة مَثْوَاه..

أَمَّا بَعْد: إخوتي / أخواتي.. أَقُول، ومِنَ الله الرِّضَا والقَبُول: يُسْعِدُني.. ويُشَرِّفُني أن أكُونَ بينكم في رحاب هذه الذِكرى الجليلة حَتّى أفوزَ معكم فوْزًا عَظيما، ولا أَكون نسْيًا مَنْسِيًّا، والفضلُ يعود لفضيلة الشيْخ سيدي محمد صلاح الدين دام فضلُه وظلُّه في ديارنا وخارجها، ونفع به أيْنَما حَلَّ أوْ رحَل؛ وهي لَمْسَةُ وفاءٍ هامَّة بَلْ مُهِمَّة؛ أشار إليها ربنا تبارك تعالى: تعليمًا لنا وتفهيما، فقال –وهو أصْدق القائلين، في مُحْكم التنزيل–: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِين** ﴾

أيها الحضور الكرام!

كنت وأنا شابّ مراهِق، أسمع بشخصيّة هذا العالم النّحرير الجليل منذ منتصف الستينيات، هو في تونس العاصمة، وأنا أقطن في مدينة صفاقس بالجنوب، وكانت شخصية الشيخ في ذلك الوقت: ملء السمع والبصر، بحيث لم يكن يجهله أحد من الناس، بل إنّ صداه وَصِيتَه طار إلى بلاد المغرب، ومصر، وحتى فرنسا؛ لذلك وضع الله له الحبّ في الصدور: في الداخل كما في الخارج، ولكنّ بعد وفاته امتد إشعاعُه – إلى أقطار أخرى بعيدة، مثل كندا وبلاد اندونيسيا تحديدا، والحمد الله.

ثمّ لّما توفي الشيخ في سنة (1973) للميلاد، كنْتُ حينما خارجَ أرض الوطن أطلُبُ العلم، ولّما أنْهَيْتُ وتخرَّجْتُ في جامعة الأزهر، استقررتُ في بلاد المَهْجَر (فرنسا) منذ سنة (1976)؛ فتعلّقتُ أكثر بالشيخ رحمه الله من الناحية العلمية بصفة خاصّة، بحيث أَصْبَحَتْ صلتي به دائمةً وبمؤلفاته الماتعة، بل مستمرة وممتدةً حتى هذه السّاعة: استفادةً وإفادةً، بوسائل عديدة، تتمثل في (الوظائف الدينية) التي قمتُ بها: كالخطابة على المنابر، والدروس في حلقات المساجد، والمحاضرات الخاصة والعامة؛ ومن الوسائل المهمة أيضا التي نشرتُ بها عِلْمَ الشيخ رحمه الله من خلال (تفسيره العظيم والقيّم)، إعدادي **برامجَ دينية في الإذاعة العربية** بباريس، كنت أُحَرِّرها بقَلَمي، ثمّ أتولّى إذاعَتها بصوتي، مُدَّةَ **(ثلاثين عَامًا)**. والحمد الله.

أمّا في مجال (التأليف والتصنيف) فهو حديث آخر، ومن نوع آخر، إذ كان لي فيه شأنٌ وشَأْوٌ بعيد للْغَايَة، ولله الحمْد، وتفصيلُهُ الآنَ يَطولُ، لكنّي سأُجْمِلُهُ لكم على النحو التالي:

– كنْتُ فيما مَضَى ولازلتُ أعود دَوْما إلى تفسير الشيخ: (التحرير والتنوير)، وأُدِيم النظر فيه مَرَّةً بعد مَرَّة، حتى كِدْتُ أستوْعبُ هذا المرجع النفيس، خصوصًا لَمَّا كنتُ أُعِدُّ بَرْنَامجًا إذاعيّا بعنوان: (تفسيرٌ وبيَان): فكان عندي في القائمة الأولى مِنْ بَيْن مجموعة طويلة من كتب التفسير، تصل إلى اثْنَيْن وعِشْرِينَ تفسيرًا ما شاءَ الله.

ويومها خامرتْني فكرة القيام بتلخيصه وتهذيبه، وكانت النسخة النِي بين يديّ تقع في 15 مجلدا، وهي الطبعة التونسية بالاشتراك، وغايتي من ذلك هي: تقريب هذا التفسير القيم إلى الأذهان من سائر طبقات الأمة، وخاصة للسادة المشتغلين بالعلم الشريف، وفي مقدمتهم: العلماء، والطلبة، ثم سائر المثقفين من أهل عصرنا: كالمفكرين، ورجال الثقافة، وهُوَاةِ المطالعة.

ومِن ثَمَّ شرعتُ بساعد الجِد والكدّ، وبدأتُ بتلخيص «**المقدمات العشر**» في المجلد الأوّل، والتي اسْتَهَلّ بها الشيخ تفسيره العظيم، قَصْدًا منه إلى جعْلها قواعِدَ مُثلى لكل مُفَسِّر، ومُشْتَغِل بعلم التفسير، فلا يَحِيدُ عن الحقّ، ولا يَشْتَطّ فِي تركيب المَعَاني المَنُوطَة بالآيات الكريمة.

ومن حُسْن حظّي أنّي أَتْمَمْتُها والحمْدُ الله؛ ثُمَّ تَعَثَّر العَمَلُ في ذلك، إلى أن تَوقَّفَ نهَائيًّا، وذلك لأسْبَاب أحَاطتْ بي: حِسًّا ومَعْنًى.. منها على سبيل الذكْر والحصْر: تَرَاكُم الأعبَاءِ والأعْمَال، المُناطة بي، وهي: الخطابة على المنابر، والقيامُ بالدروس العامّة في عدة مساجد، وإعدادُ برامجَ دينيّة: تحريرًا وتقديمًا في الإذاعة قد تصل في بعض السنوات – خصوصًا في رمضان – إلى (عشر) برامج في اليوْمِ الوَاحِد؛ ثمّ إشرافي الدائِم على التعليم بمدرستي التي أسستُها في عام 1983م بباريس. كل هذا وغيره، وَلَّدَ عِنْدِي قِلّة الفراغ، وانْعِدَامَ الراحَة، لأَخْلُوَ مِنْ وَرَاءِ ذلك إلى مواصلة العمل في اختصار وتهذيب هذا التفسير القيم، وبالتالي ظلّ ذلك التّراخي عندي حسْرةً وندامَة حتى الآن.

لكنْ، وحتّى لا يذْهَبَ مَا أقْدَمْتُ عليْه راكِدًا، عمَدْتُ إلى نَشْره، فأصدَرَتْهُ دار ابن حزْم للطباعة والنشر ببيروت عام 2005 – أي قبل ثمانية عشر عامًا – في كتاب ظريف، وهو هذا: **مختصر المقدمات العشر**.

– وبعْد فَتْرة طَويلَة، عاوَدَني الشوْق إلى عَمَل اخْتِصَار وتهذِيب

(**تفسير التحرير والتنوير**)، فعكفتُ على المجلد الأخير منه، والمشتمل على (**جزء عمّ**)، فقمتُ به كامِلًا والحمد لله، وهو ماثِل للطبْع، يَسَّرَ اللهُ دَارَ نَشر تقوم بذلك.

أيها الحصور الكرام!

ومما زادني شرفاً وتيهًا – كما قال القاضي عياض رحمه الله – أنّي قُمْتُ أيضًا بتلخيص كتاب الشّيخ الشَّهير: (**مَقَاصِد الشريعة**)، كأحْسَنْ ما يكون التلخيص، وهو يَصْلُح للمبتدئين من طلبة العلم، أو حَتَّى لـمَحْدُودِي الثقافة، منْ علماء الشرع الشريف في عُصُورِنَا هَذه، والتي لم يعد العَالِم تَمْتَدُّ يَدُه إلى المُطَوَّلات، ولا يَصْبِرُ على تَشعّبَاتِ العِلم، ومَسَالِك فروعه، ففي المُخْتَصرَات غُنْيَة واستفادة.

– وأخيرا، فنظرًا لهذا المَسَار والمسيرة، التي تُقَدَّرُ عندي بنَحْو (**أربعين عامًا**) أو تزيد، مِنْ خلال (صلتي العلميّة) بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومؤلفاتِه قُمْتُ بترجمة (حياة وآثار) الشيخ مرتين مُتعَاقِبَتَيْن:

- (**الأولى**): في الكتاب المطبوع: (**مختصر المقدمات العشر**).
- (**الثانية**): في الكتاب المجموع بعنوان: (**حياة وآثار ستة علماء أقمار من عدة أقطار**)، فكان الشيخ في أوائل هؤلاء وقد طُبِعَ الكتاب بمدينة فاس في بلاد المغرب الأقصى.

أيها الحضور الكرام!

وقبْل أنْ أختِم كلمتي فيكم، أدْعُو أثناءَ هذِه المُنَاسَبَة العظيمة معالي السفير، وكذلك الطلبة والطالبات، إلى «**تَخْليد شخْصِيَّة**» هذا الإمام المُحْتَفَى به، في «**سينَارْيُو**» يُسَجِّل (**حياتَه وأعمالَه ومَنَاقِبَه**)، باللّغتين: العربية والأندونيسيّة.

وإني على أتمِّ الاستعداد والتعاون في إنْجازِه: كتابةً، وصياغةً، لأنه قد سبَق لي أن قُمتُ بعمل مشابه لهذا: وهو «**سِينَارْيُو**» عن رحْلة الحجّ إلى البقاع المقدّسة، وقد صدر في باريس لاحقًا والحمد لله.

ومِسْك الختام، في هذا المقام، أيها الحضور الكرام!

أشكر إصغاءَكم.. واهتمامَكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العلامة محمد الطاهر بن عاشور: من حضارة الإصلاح إلى حضارة المصلحة العامة

بقلم الدكتور زهيري مصراوي

سفير جمهورية إندونيسيا بتونس

مرت خمسون عاما علي رحيل العلامة محمد الطاهر بن عاشور حيث أصبح إسمه نجما من نجوم العلماء والمفكرين المرموقين في العالم الإسلامي بل في العالم بأكمله، حتي وصل صيته إلي الجامعات العالمية في الولايات المتحدة وانجلترا وأوروبا، حيث درست وبحثت ونوقشت أفكاره لما لها من الآثار البناءة في الدراسات الإسلامية المعاصرة.

قرأت مؤلفات العلامة محمد الطاهر بن عاشور حينما كنت طالبا بجامعة الأزهر الشريف في مصر الحبيبة في التسعينات، تجولت وسافرت أفكاره من تونس إلي مصر ثم إلي إندونيسيا حيث قال لي صاحب المكتبة التي نشرت مؤلفاته أن الإندونيسيين من أكثر مشتري وقارئي كتب العلامة محمد الطاهر بن عاشور بل أصبحت أفكاره مطبقة في الساحة الإجتماعية والثقافية والفكرية.

تعد إندونيسيا في الوقت الحاضر من أكبر الدول التي تضم المسلمين، حيث وصل عددهم إلى ثمانين ومائتين مليون نسمة وهي دولة ديمقراطية تقوم علي

سيادة المبادئ والقانون، فالمواطنون فيها يعيشون في وئام وسلام وسط التنوع الديني والمذهبي واللغوي والعرقي والإنتماء السياسي حيث يكون التعدد والإختلاف فيها رحمة وبركة من الله سبحانه وتعالى وقال أحمد سوكارنو الزعيم الإندونيسي ان إندونيسيا رحمة من الله سبحانه وتعالى. وأهم العوامل التى تجعل إندونيسيا مستقرة ومتحدة هي حب العلم والعلماء، وللعلماء والأولياء الصالحين دور كبير في توعية الناس وترسيخ القيم من القرن الخامس عشر بل لهم أيضا دور جبار في استقلال اندونيسيا لأنهم غرسوا حب الوطن في قلوب المسلمين حيث شارك كل مواطن مسلم مع معتنقي الأديان الأخرى في المناضلة من أجل استقلال إندونيسيا.

البداية في بلدي انطلقت من العلم والفكر ثم العمل الجماعي من أجل بناء الحضارة والدولة المتقدمة حيث أسس العلماء المعاهد الدينية الإسلامية التي يدرس فيها العلوم الشرعية والدنيوية حيث وصل عدد المعاهد إلي أربعين ألف معهد وحوالي أربعين مليون طالب يدرسون فيها ومنهم بعد أن تخرجوا من دراستهم يواصلونها في الجامعات العريقة في منطقة الشرق الأوسط كجامعة الزيتونة بتونس وجامعة الأزهر الشريف بمصر وجامعة القرويين بالمغرب ومنهم أيضا من يلتحقون بالدراسة في السعودية وتركيا والإمارات والأردن وقطر.

فالعلامة **محمد الطاهر ابن عاشور** له مكانة خاصة في قلوب المسلمين في إندونيسيا لأنه غرس في المسلمين فكرة الإصلاح والتجديد، حيث يرشدنا إلي ضرورة الإصلاح الديني وبالتالي بناء حضارة تقوم على الإصلاح في كل المجالات ، ويكون من الأولويات لمواكبة العصر وحل مشاكل الأمة حتي يكون للمسلمين دور فعال في المجتمع ، وخير دليل كلام الله تعالي في القرآن العظيم : **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**.

وفي كتابه **أصول النظام الإجتماعي في الإسلام** أشار العلامة محمد الطاهر ابن عاشور إلي أهمية الإصلاح الفردي والإصلاح الجماعي وذلك معناها أن حضارة الإصلاح لا يمكن أن تنجح إلا بواسطة الإصلاح الفردي والإصلاح الجماعي معا، ونحن كلنا في إندونيسيا على قناعة وموافقون بهذه الفكرة القيمة لأن بناء

الحضارة والدولة المتقدمة في حاجة إلي الإصلاح الفردي والإصلاح الجماعي، فالإصلاح ينبغي أن يبدأ من المبادئ والقيم الصحيحة والنبيلة التي هي من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، الذي هو دين الفطرة. ومن ثم ينبغي لكل مسلم أن يستلهم من دينه للإصلاح الفردي والإصلاح الجماعي معا.

من التجارب الناجحة في جمهورية إندونيسيا جمعية «نهضة العلماء»، فهي جمعية دينية إجتماعية إسلامية معروفة حيث وصل عدد أعضائها إلي أكثر من مائة وعشرين مليون عضوا في كل أنحاء إندونيسيا ،بل لها فروع في شتى الدول. واعتنت هذه الجمعية بأهمية المبادئ والقيم النبيلة المستمدة من المفاهيم الراسخة في أهل السنة والجماعة كالاعتدال والوسطية والسماحة وبالعودة إلى كتب العلامة محمد الطاهر بن عاشور نجد هذه المبادئ والقيم حاضرة بقوة لاسيما في كتابه **أصول النظام الإجتماعي في الإسلام**.

وفي الإطار السياسي وافق واتفق كل الشعب الإندونيسي بالمبادئ الخمسة أي البنشاسيلا وهي الإيمان بالله والإنسانية والوحدة الوطنية والشوري التوافقي والعدالة الإجتماعية وفعلا ان هذه المبادئ تتماشي مع مقاصد الشريعة التي هي لب حضارة المصلحة العامة ومن ثم كل مواطن إندونيسي ينبغي عليه العمل من أجل بناء حضارة المصلحة العامة.

من النقاط المهمة التي أشار اليها العلامة محمد الطاهر ابن عاشور هي أهمية مكارم الأخلاق لأنها هي اللبنة الأساسية لبناء الحضارة والدولة المتقدمة، وقال العلامة :« لا يكاد ينتظم أمر الإجتماع كمال انتظامه، ولا ترى الأمة عقدها مأمونا من انفصامه، ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها »، وكما أشار بعض العلماء في إندونيسيا أن الأخلاق مقدمة على الفقه.

فلأهم من المهم أن كتاب مقاصد الشريعة للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور بمثابة مرجع أساسي في تكوين الفكر الإسلامي المعاصر لبناء حضارة المصلحة العامة، كما القاعدة الفقهية المشهورة «**أن تصرف الإمام منوط بالمصلحة**» وبالتالي كلنا في إندونيسيا نستلهم ونستفيد ونتعلم من أفكاره البنّاءة ثم نجتهد ونعمل ونخدم بكل جدية للوطن لتوطيد حضارة المصلحة العامة.

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة
سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله

القول في كيفية التعامل الصحيح مع أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

كانت السنة النبوية الطاهرة ولا تزال محل إفراط في الأخذ بها دون ترو وتثبت وبصيرة ورؤية عميقة وتفريط بالإنكار لها ورفض العمل بها وكل من الموقفين له من يقول به ويعمل بمقتضاه فيما يلقيه ويكتبه ويدعو إليه بل ويحكم به على الآخرين إما تكفيرا وتفسيقا وإخراجا من دائرة الإسلام أو اتهاما بالتعصب والتزمت والانغلاق والرجعية والسلفية.

ولا سبيل إلى الخروج من هذه المتاهة إلا برأي عالم نحرير محقق مدقق عارف بالمقاصد والغايات يغوص في النص غوص الممتلك لآلياته وناصيته الأمر غير المتأتي لأغلب من يدعونه ويوهمون به، وسماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله هو من العلماء القلائل جدا على مستوى الساحة الإسلامية الذين جمع الله لهم وفيهم العلم بالمعقول والمنقول والإدراك العميق للواقع المتغير والمتبدل والمتطور والذي لا سبيل إلى أن تتجاهله أو تتغافل عنه تعاليم الإسلام لدرء المفاسد وجلب المصالح.

ولهذا الموضوع (**الموقف من السنة**) في كتاب مقاصد الشريعة فصل جدير بأن يعود إليه كل دارس وباحث فقد أتى فيه الشيخ بما يشفي الغليل ويقنع العقول ويوافق إن شاء الله الرشاد والصواب ولنترك سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله يقدم هذا المبحث الهام حيث يقول تحت عنوان : انتصاب الشارع للتشريع (مما يهم الناظر في مقاصد الشريعة تمييز مقامات الأقوال والأفعال الصادرة عن رسول الله ﷺ والتفرقة بين أنواع تصرفاته).

وللرسول عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة صالحة لأن تكون مصادر أقوال وأفعال منه فالناظر في مقاصد الشريعة بحاجة إلى تعيين الصفة التي عنها صدر منه عليه الصلاة والسلام قول أو فعل.

وأول من اهتدى إلى النظر في هذا التمييز والتعيين العلامة شهاب الدين احمد بن إدريس القرافي في كتابه: «**أنوار البروق في أنواء الفروق**» فإنه جعل الفرق السادس والثلاثين بين قاعدة تصرف رسول الله ﷺ بالقضاء وقاعدة تصرفه بالفتوى –وهي التبليغ– وقاعدة تصرفه بالإمامة وقال: إن رسول الله ﷺ هو الإمام الأعظم والقاضي الأحكم والمفتي الأعلم فهو إمام الأئمة وقاضي القضاة وعالم العلماء [فجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى إليه في رسالته وهو أعظم من كل من قد تولى منصبا منها في ذلك إلى يوم القيامة] فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبة غير أن غالب تصرفه ﷺ بالتبليغ لأن وصف الرسالة غالب عليه ثم تقع تصرفاته ﷺ: منها ما يكون بالتبليغ والفتوى إجماعا ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء. ومنها ما يجمع الناس على انه بالإمامة، ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رتبتين فصاعدا فمنهم من يغلب عليه رتبة ومنهم يغلب عليه أخرى.

ثم تصرفاته بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة فكل ما قاله أو فعله على سبيل التبليغ كان كذلك حكما عاما على الثقلين إلى يوم القيامة. فإن كان مأمورا به أقدم عليه كل أحد بنفسه وكذلك المباح. وإن كان منهيا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه. وكل ما تصرف فيه عليه السلام بوصف الإمامة لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام [اقتداء به عليه السلام]، ولأن سبب تصرفه فيه عليه السلام بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك. وما تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم، لأن السبب الذي لأجله تصرف فيه ﷺ بوصف القاضي يقتضي ذلك.

ويقدم سماحة الشيخ الإمام التحقيقات لهذه الفروق بالمسائل التي دلل بها عليها القرافي ويعقب على ذلك بكلام نفيس حيث يقول سماحته (ومن ورائه (القرافي) نقول: إن لرسول الله ﷺ صفات وأحوالا تكون باعثا على أقوال وأفعال تصدر عنه فحري بنا أن نفتح لها مشكاة تضيء في مشكلات كثيرة لم تزل تعنت الخلق وتشجي الحلق وقد كان الصحابة يفرقون بين ما كان من أوامر الرسول صادرا في مقام التشريع وما كان صادرا في غير مقام التشريع وإذا أشكل عليهم أمر سألوا عنه...

ثم يمضي سماحته قائلا (على أن علماء أصول الفقه قد تعرضوا في مسائل السنة النبوية إلى ما كان من أفعال رسول الله ﷺ جبليا انه لا يدخل في التشريع. وما ذلك إلا لأنهم لم يهملوا ما كان من أحوال رسول الله ﷺ أثرا من آثار أصل الخلقة لا دخل للتشريع والإرشاد فيه.وترددوا في الفعل المحتمل كونه جبليا وتشريعيا كالحج على البعير. وقد يغلط بعض العلماء في بعض تصرفات رسول الله عليه الصلاة والسلام فيعمد إلى القياس عليها قبل التثبت في سبب صدورها.

وينتهي سماحة الشيخ الإمام إلى القول (وقد عرض لي الآن أن اعد من أحوال رسول الله ﷺ التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثني عشر حالا. منها ما وقع في كلام القرافي ومنها ما لم يذكره وهي:

التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد...

ثم يمضي سماحة الشيخ الإمام مقدما الأمثلة على الحالات الإثني عشرة من أحوال رسول الله ﷺ جاعلا لكل حالة أمثلة مأخوذة من كتب السنة الصحيحة المشهورة وهو لا يمضي إلى الحالة الموالية إلا بعد أن يقنع القارئ بالحجة والبرهان على سلامة التقسيم الذي ذهب إليه وارتضاه واعتباره هو الصواب في التعامل مع سنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

إن هذا الفصل دسم وثري وهو شيق لم يسبق إليه سماحة الشيخ الإمام بهذا التفصيل والتمثيل عليه بالصحيح من الأحاديث والآثار، وهو جدير بأن يطلع عليه ويتملاه كل باحث في الثقافة الإسلامية وكل دارس للسنة النبوية وكل مستدل بها حتى يعلم أبعاد الاستدلال بالسنة ومخاطر الوقوع في الأفهام الخاطئة التي تنجر عنها أحكام قد لا تحمد عقباها. إن هذا الفصل جدير بأن يعمم مضمونه وتبسط مفاهيمه ليتخذها نبراسا من يستدلون بالأحاديث وتجري على السنة الكثير منهم محرفة خارجة عن سياقها ويتلقاها العامة من أفواههم سواء مباشرة أو من خلال الإذاعات المسموعة والمرئية وينقلونها عن غير روية فيزيدون الطين بلة، فالاطلاع على هذا الفصل المتعلق بالسنة النبوية هو ما أردنا لفت الانتباه إليه نظرا لأهميته وقيمته الكبيرة والله الهادي إلى سواء السبيل.

أهميَّة قِيَم الأُخوَّة الإنْسَانيَّة في تَعزيزِ السَّلام والحِفاظ عَلَيْه

نص كلمة فضيلة الشيخ أحمد الطيب التي توجه بها إلى مجلس الأمن بتاريخ 14/ 06/ 2023

بقلم فضيلة الدكتور احمد الطيب / شيخ الازهر

حضرات السَّـــادَة الأفاضل أعضاء مجلس الأمن الموقَّر!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد؛

فإنِّي أُخاطبُكم اليوم من «مِصْرَ»: واحَةِ السَّلام ومُلْتقى الأديان، وبلد الحضارة والتاريخ، والأمن والأمان، وإنَّه ليسعدني أنْ يأتيَ حديثي إلى حضراتكم تلبيةً لدعوةٍ عزيزةٍ من دولة الإمارات العَرَبيَّة المتَّحِدَة، بصفتها عضوًا منتخبًا ورئيسًا للدورة الحالية لمجلس الأمن، تلكُم الدولةُ العربية الإسلامية التي لا تدَّخِر وُسْعًا في بذلِ كل جهدٍ مخلصٍ لنشر السَّلام بين الناس، وترسيخ مَبادئَ الأُخوَّة الإنسانيَّة والتسامح والعَيْش المُشْتَرك.

وأود أن أحيي صوت الحكمة الذي استمعت إليه في كلمة السيد الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو جوتيريش، وإيمانه الواضح بأهمية دور الأديان وقيم الأخوة الإنسانية في تحقيق السلام العالمي.

أيُّها السَّـــادَة!

اسمَحُوا لي في بدايةِ كلمتي أنْ أُقدِّمَ شَخصي المتواضع:

بحسباني رَجُلًا شَرْقيًّا مُسْلِمًا، لا ينتمي إلى أيٍّ من التيارات السياسيَّة على اختلاف مواطنها ومذاهبها ولا يتبنى أيَّة أيديُولوجية من أيديولوجيات اليمين أو اليسار، أُحِبُّ السَّلام. وأَبْحَثُ عنه وأتطلَّعُ إليه وأتمنَّاه للناس جميعًا، وأَشْعُرُ شعورًا عميقًا بأخوَّةٍ إنسانيَّةٍ تربطني ببني البَشَر جميعًا، على اختلافِ ألوانهم وأديانهم وعقائدهم ولُغاتهم.. تَعلَّمْتُ ذلك من الدِّينِ الإسلامي الذي اتبعه، ومِن الكُتُب الإلهيَّة التي أنزلها الله على أنبيائِه ورُسُلِه، وآخرُها القرآنُ الكريمُ الذي نزلَ على نبي الإسلام؛ محمد ﷺ، وكلها تُجمعُ على أنَّ اللهَ كَرَّم بني آدم وفضَّلَهم على كثير من مخلوقاتِه، وأنَّه خَلَقَهُم مُختَلفينَ في لُغاتِهم وألوانِهم وأديانهم وعقائدِهم، وأنَّ هذا الاختلاف باقٍ فيهم إلى آخر لحظةٍ في عُمْرِ هذا الكَوْن، وأنَّ محاولات اصطفاف الشُّعُوب خلف دينٍ واحدٍ، أو ثقافةٍ أو حضارةٍ واحدة. مُحاولات مقضي عليها بالفَشَلِ الذَّريع، طالَ الزَّمن أو قَصُر، لأنَّها تسبح ضِدَّ إرادة خالق العباد، والعليم بما يصلحهم وينفعهم، وقد أَخْبَرَ الله عن نَفْسِه في القُرآن أنَّه: ﴿**غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 21].

وقانون الاختلاف هذا هو حَجَرُ الزَّاوية في مَفهومِ الخَلْق الإلهي للإنسان، بكلِّ ما يَستلزمه من حُقُوقٍ وواجباتٍ حدَّدها القرآن في وضوحٍ لا لَبْسَ فيه؛ في مُقدِّمتها: حقُّ حُريَّةِ الاعتقاد، وحقُّ حُريَّةِ الرأي، وواجبُ المسؤوليَّة الفَرْديَّة والأُسَريَّة والمجتمعيَّة، لذلك حرَّم القرآن كل ما يُصادِر هذه الحقوق أو يعبث بحرمتها، حتى إنَّه لَيُحَرِّمُ أيَّة ممارسة لإجبار الناس على تغيير عقائدهم وأديانهم.. ومَن يَقْرَأ القرآن قراءةً موضوعيَّةً محايدة تُطالعه النُّصُوص الآتية:

* ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: 256].
* ﴿**فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: 29].
* ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: 22].

ومَن يَقرأُ سُنَّة النَّبي مُحَمَّد ﷺ تُطالعه رسالته الواضحة في التأكيد على حرية الاعتقاد «مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ...».

وأَمْرٌ مَنْطِقيٌّ أنْ يتأسَّس على قانون الاختلاف وتقريره أنَّ تكون العلاقةَ بين المختلفين: دينًا ولُغةً وثقافةً وحضارةً –علاقةَ «أمن وسلام»، عبَّر عنها القرآن: بعلاقة «التَّعارُف»، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13]، واتَّخَذَ منها قانونًا إسلاميًّا يَحْكُمُ العلاقاتِ الدوليَّةِ بين الأمَمِ والشُّعوب، وغَنيٌّ عن القَولِ أنَّه في ظلِّ هذه النَّظَريَّة القُرآنيَّة في العلاقات الدوليَّة: لا مكانَ لنظريَّاتِ الصِّدام والصِّراع، أو نظريَّة العِرْق، أو نَظَريَّة رسالة الرَّجُل الأبيض وهَيْمَنته على باقي عبادِ الله، واستعمار بلادهم واستنزاف خيراتهم.. فقط، علاقةُ «السَّلام» بينَ النَّـاس هي ما يعتمده الإسلام، وسائر الأديان الإلهيَّة من قَبلِه..

وإذن فليس من العَدْلِ، ولا من العِلْمِ في شيء ما يُقال من أنَّ الإسلامَ دينُ السَّيف ودين الحروب.. واسألوا التاريخ يُنبئْـكم بأنَّ الحرب في الإسلام حالة استثنائيَّة وضرورة من ضرورات الدِّفاع عن النَّفْسِ وعن الأرضِ والعِرْض والشَّرف.. وليس صحيحًا ما يُقال من أنَّ «الإسلام» هو المسؤول عن ظاهرة تفريخ «الإرهاب»، والصَّحيح أن يُقال: إن المسؤول الأوَّل عن ظاهرة «الإرهاب» التي يَبْرأ منها الإسلام نفسه قبل غيره، هو: سياساتُ الهَيْمَنة العالميَّة، والفلسفاتُ الماديَّةُ، والمذاهبُ الاقتصاديَّة المتنكِّرة لضوابط الأخلاق.

السَّـادَة الأعضاء!

ما قَصَدتُ في كلمتي هذه أنْ أُحدِّثكم عن الإسلام، ولكن قَصَدْتُ دعوتَـكم لإطفاءِ الحروب العبثيَّة التي انْدَلَعتْ في العقودِ الأخيرة، ولازالت تندلعُ في مَنطقتِـنا وفي بلادِنا حتى هذه اللحظة..

أتحدَّثُ عن حربِ العِراق، وحرب أفغانستان وما خلَّفته من مآسٍ وآلامٍ وأحزان، طوال عشرين عامًا.

أتحدَّثُ عن سوريا وليبيا واليمن وتدمير حضاراتهم العميقة، الضاربة بجذورِها آلاف الأعوام في عُمْرِ التاريخ، وصِراعات الأسلحة على أراضيهم وفرار أبنائهم ونسائهم وأطفالهم، من هول حرب لا حَوْلَ لهم فيها ولا قُوَّة..

أتحدَّثُ عن مقدَّساتي ومُقدَّساتكم في فلسطين، وما يكابده الشعب الفلسطيني من غطرسة القُوَّة، وقسوة المستبد، وإنِّي لآسى كثيرًا لصمت المجتمع الدولي عن حقوق هذا الشَّعب الأبي، وإنْ كنت أُقَدِّر ما أقدَمَتْ عليه الأُمَم المتَّحدة في الخامس عشر من مايو الماضي من تذكير الضَّمير الإنساني بمرور خمسة وسبعين عامًا على نكبة فلسطين المأساويَّة، وأدعو من هنا مجلسَ الأمن والمجتمعَ الدولي بالإسراع -اليوم قبل الغد- إلى إقرار دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، كما أدعو إلى حماية المسجد الأقصى الشريف من هذه الانتهاكات التي يتعرض لها يومًا بعد يوم.

وأتحدَّث عن الحرب الدَّائرة على الحدود الشَّرقيَّة لأوروبا، وما تُثيرُه من رُعبٍ، وتبعثُه من خوفٍ وقلقٍ من أن يعود العالَم مع هذه الحرب إلى ما قبل العصر الحجري، وأدعو المجتمع الدولي إلى وقفٍ فوريٍّ لهذه الكارثة، وحماية الأبرياء من سَفْكِ الدِّماء وخراب المدن وتدمير القُرى.

وأتحدَّثُ عن أزمة اللاجئين الهاربين من جحيم الحروب، وعن حقوقهم في إنقاذهم واستضافتهم، وهي الحقوق التي ضمنتها لهم الشرائع والأديان الإلهية، أيًا كان دين هؤلاء اللاجئين، أو حتى كانوا من اللادينيين.

وأتحدثُّ عن تدميرِ الأُسرة، ومُصادرة حقوق الطفل في التَّمَتُّع بأحضان أُمَّهاتهم اللائي ولدنهم.. أتحدَّثُ عن خراب البيئة وعن التلوث وفيضانات البحار واشتعال الغابات..

السَّـادَةُ الأجِـــلَّاء!

لا يُخامرُني أدنى شك في أنَّ هذه الأزمات التي تُخيِّم على إنسان العصر الحديث، هنا في الشرق، وتزحف الآن بقوَّة لتُضيق عليه الخناق في الغرب، ما كان لها أنْ تكون لو أنَّ حضارتنا الحديثة وثقافتنا المعاصرة لم تبالغ في التنكُّر للدِّين، ولم تلقِ به وبتعاليمِه وراء ظهرها، ولو أنَّها تعلَّمَتْ من هَدْي السَّماء حُرمةَ الدِّماء، وقيمة «العدل» ومحوريَّته في استقرار الأفراد والمجتمعات، وإننا -نحن المؤمنين بالله- لا يسعنا إزاء هذه الأزمات إلَّا أن نواصل الدَّعوة إلى نشر السَّلام والمحبَّة بين الشُّعوب قَدْرَ المستطاع، وألَّا يتقاعسوا عن التصدِّي لخطاب الكراهية بين النَّاس، واستغلال الأديان والمذاهب في إشعال الحروب بين الشُّعُوب، وبث الخوف

والرُّعب في قلوبِ الآمنين.

وهذا ما سعى ويَسْعى إليه الأزهر الشَّريف، بالتَّعاون مع الكنيسة الكاثوليكيَّة والكنائس الغربيَّة والشرقيَّة والمؤسسات الدينية الأخرى، من أجلِ إحياء ثقافة الحوار والتَّعارُف بين أتباع الأديان، وترسيخ مبدأ السَّلام والتَّعايُش السلمي، حتى قدَّمنا مع الأخ العزيز البابا فرنسيس –شفاه الله وعافاه–، للعالم ومن أبوظبي في الرابع من فبراير عام 2019م وثيقة الأُخوَّة الإنسانيَّة من أجل السَّلام العالمي والعَيْش المشترك، وأكَّدنا مرارًا على ضرورة مبادئ الأخوة الإنسانية كأساس للسلم والأمن الدوليين في مُؤتمرات زُعماء الأديان في كازاخستان، ومُلتقى حوار الشَّرق والغرب في البَحْرين، ومؤتمرات أخرى في أفريقيا وآسيا وأوروبا.

كما يعمل الأزهر الشَّريف بالتعاون مع مجلس حكماء المسلمين، والكنيسة الكاثوليكيَّة وكنيسة كانتربيري، وغيرها من المؤسَّسات الدِّينيَّة المختلفة، على تنظيم تجمُّع لقادة الأديان ورموزها للتشاور حول هذه الأزمات وتحديد المسؤوليَّة المشتركة في مواجهتها، وبخاصَّةٍ قَضيَّةُ التَّغيُّر المناخي وتزايد وتيرة الحروب والصِّراعات.

ولعلَّ حضراتكم توافقونني في أن هذه الجهود تحتاجُ لدعمِ القادَة السياسيِّين وصُنَّاع القرار في المجتمع الدولي، حتى تؤتيَ ثمارها المرجوَّة في تحقيق الهدف المشترك بين الجميع، وهو تحقيق السلم والأمن الدوليين، على أرض الواقع وفي حياة الشعوب، وليس فقط بمجرد قرارات وتوصيات لا يلتزم بها أحد أو يلقي لها بالًا.

واسْمَحوا لي في الختام أن أعيد التأكيد على أن اجتماعنا اليوم ليس ترفًا، بل هو ضرورة يُمليها القلق على مُستقبل الإنسان، والبَحْث عن حلٍّ لأزمته المُعقَّدة، والتي بدأت تتمدَّد وتنتشر في كُلِّ مكانٍ، وتُنْذِر بعواقب وخيمة إنْ هي تُرِكَتْ تدرج في هذا المسار البائس، وحسنًا فعلت رئاسة مجلس الأمن أن اختارت موضوع «الأخوَّة الإنسانية» عنوانًا لهذا النقاش، وما أظن أن هناك خيارًا أكثر فعالية في علاج أزماتنا المعاصرة من «الأخوة الإنسانية»، ذلكم الفردوس المفقود.

شُكْرًا لحُسْنِ استِماعكُم.. والسَّلامُ عَلَـيْكُم وَرَحـْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُه.

من أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر : معرفة لغة نصوص الوحي

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو
الامين العام لمجمع الفقه الاسلامي الدولي جدة

المطلب الأول :الأداة الاولى: معرفة لغة نصوص الوحي

تتمثل هذه الأداة كما أسلفنا في اللغة العربية التي تعدّ وعاء للنصّ الشرعي ويتميز النص الشرعي ذاته بمزاياها وخصائصها وأساليبها، ويتوقف حسن تصور وتجسيم المعاني التي يدل عليها النص الشرعي على معرفة وفهم اساليب البيان والمعاني والبديع وغيرها من علوم تلك اللغة. وما لم يتمكن المرء من هذه العلوم، فإن فهمه للنصّ الشرعيّ سيظلّ كليلا. ولهذا، فإنّا نرى أن أهمّ آلة وآكد علم يحتاج المرء إلى تحصيله واستيعابه والاشراف عليه قبل ان يوسع نصوص الوحي كتابا وسنة جانب الاجتهاد في فهمه هو علم العربية، ويمكننا تلخيص اسباب ذلك في الأمور الآتية:

أ- **أن اللغة التي نزل بها النصّ القرآني** هي هذه اللغة العربية بصريح آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿**نزل به الروح الامين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين**﴾ الشعراء 26/ 193 – 195، وقوله ﴿**وهذا كتاب مصدّق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا**﴾ الاحقاف 46/ 12.

وأما النص الحديثي النبوي، فقد نطق به رسول كان لسانه عربيا بشهادة النص القرآني الذي ورد فيه قوله ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مُبين**﴾ النحل 16-103، وقد نقل عنه عليه الصلاة والسلام سننه القولية والفعلية والتقريرية اصحابه الذين كانت السنتهم عربية، مما يعني انه لا يمكن ان يفهم تلك النصوص كتابا وسنة ((..**حقّ الفهم إلا من فهم اللغة العربية حقّ الفهم، لأنها سيان في النمط ما عدا وجوه الاعجاز**..))[1] فالإلمام الجيد بهذه اللغة وبقواعدها، وأساليبها وقوانينها لأمر ضروري لحسن فهم الدين، لأنها ((.. **اللغة**

[1] انظر الموافقات - الشاطبي 4/ 114

التي بها نزل القرآن، وأن جميع وسائل معرفة السنة ليست إلا باللغة العربية..))[2] ولغة الشريعة **((عربية، وإنما يفهم أصولها من الكتاب والسنة من بفهمه يعرف اللغة.. (ثم) إن المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق..))**[3].

ب– مسايرة نصوص الوحي كتابا وسنة اسس ونظم هذه اللغة، إذ إنها لا تخرج عن معهوداتها ومألوفاتها، وإنما دارت في فلكها مع تمتعها بإعجاز بياني جليّ لا يبارى، وتفوق تعبيري لا يجارى، فمن لم يكن مدركا لأسس اللغة وقوانينها وآدابها في التعبير، فانه لا يحقّ له أن يتصدى للنظر الاجتهادي من أجل التوصل إلى حسن فهم لمعاني ومرامي هذه النصوص، وذلك لأنه مهما بذل من جهد واستفرغ من طاقة، فليس بمستطيع أن يغوص إلى أعماق المعاني المرادة للشارع من نصوص وحيه، وليس بقادر بأي حال من الأحوال على الوقوف على دقائق ومقاصد الخطاب الالهي، ورحم الله الامام الشافعي عندما قال ما نصه مؤكدا هذا الأمر: **((.. فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغنى باول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاما ظاهرا يراد به الخاص. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكلّ هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره ... وكانت هذه الوجود التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به وان اختلفت اسباب معرفتها معرفة واضحة عندها، ومستنكرا عند غيرها مما جهل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة، فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه. ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة، والله اعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه))**[4].

ج– من الواضح أن اللغة العربية تتميز ببلاغة نادرة الوجود في كثير من اللغات، وقد كان ذلك الجانب البلاغي من الجوانب الاعجازية التي تميزت بها نصوص الوحي كتابا وسنة ولذلك فلكي يتمكن المرء من حسن تصور وتجسيم لمعاني تلك

[2] انظر مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة للمودودي 195 بتصرف

[3] انظر البرهان للجويني 2/ 870869

[4] انظر الرسالة 51 53 باختصار

النصوص ومراميها ومقاصدها لا بدّ له من أن يشرف على البلاغة اشرافا يعينه على إدراك معاني هذه النصوص كتاب وسنة وفي اطارها البلاغي المعجز المتفوق العريف، وأنى يتأتى لإمرئ ذلك الادراك إذا لم يك قد نال نصيبه الوافر من هذه اللغة.

لهذه الاسباب وغيرها نستطيع أن نقول بأن النظر الاجتهادي يظل أمرا متعذّرا في حالة عدم توافر هذه الاداة في المتصدي له. بل يغدو بذل الوسع في التوصل إلى حسن تصور وتجسيم للمعاني التي تدل عليها نصوص الوحي كتابا وسنة أمرا محفوفا بالمخاطر والاهواء، لانه كما قال الشافعي ((.. **لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها. ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها..**))[5].

ورحم الله الاستاذ المودودي عندما قال قولته الشهيرة ((.. لقد كان اول هذه الاصول يقصد اصول الاجتهاد ان يكون المرء بصيرا، باللغة التي نزل بها القرآن عارفا بقواعدها ومسالكها وسلائقها. فقولوا لي بالله: هل هذا أصل باطل؟ وهل تسمحون لأحد لم يكن على مثل هذه المعرفة باللغة الانجليزية إن ياتي ويفسر كتب القانون المؤلفة باللغة الانجليزية مع انه من المعلوم لدى علماء اللغة الانجليزية انه يحدث فرق كبير في المعنى كلما تقدمت شولة (comma) أو تأخرت عن موقعها في العبارة، حتى لطالما اضطر المجلس التشريعي إلى استصدار قانون (Act) مستقل لتحويل شولة واحدة من موضع إلى موضع آخر..))[6].

إذن، فمعرفة اللغة العربية تعدّ أولى الالات التي يجب على المرء تحصيلها والتمكن منها قبل النظر الاجتهادي، وإذا ما عجز امرؤ عن ذلك، فإنه لا يليق به أن يبذل وسعه في التوصل إلى المعاني التي تدل عليها نصوص الوحي الإلهي كتابا وسنة لأنه لا يامن عندئذ من الخطا والغلط في تحديد المراد الالهي ((.. ومن تكلّف ما جهل وما لم تثبته معرفته كانت موافقته الصواب إن وافقته من حيث لا يعرفه غير محمودة، والله اعلم وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه..))[7].

[5] انظر الرسالة 50.

[6] انظر المودودي أبو الاعلى: مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة (جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع طبعة 1985م) 224.

[7] انظر الرسالة 53.

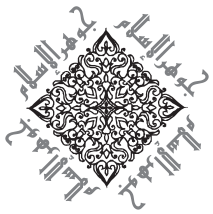

في رياض السنة

الحديث الخامس والعشرون

سعة مجالات الأجر والثواب

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ «يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وكلّ تكبيرة صدقة وكل تهليله صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر».

رواه مسلم

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وقد سبق التعريف به وإيراد نتف من سيرته العطرة وقد خرج هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه وهذا الحديث يتطرق إلى خاصية من خصائص دين الإسلام الحنيف هذا الدين الذي ختم الله به الرسالات السماوية وارتضاه لعباده وأكمله

وأتمه فهو الدين عند الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ومن يعرض عن الدين الإسلام ويختار غيره بعد أن يكون بلغه العلم به هو لا شك من الخاسرين ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وما ذلك إلا لأن الله سبحانه وتعالى جمع في هذا الدين الذي أرسل به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كل ما فيه خير للإنسان في عاجل حياته الدنيا وفي آخرته.

إن الإسلام جمال كله ورحمة كلها وصدق الله العظيم الذي يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وهذه الرحمة تتمثل في إخراج العباد من الضيق إلى السعة ومن الجور إلى العدل ومن الظلام إلى النور ومن التعسير والتشديد إلى التيسير والرفق ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

إنّ هذا الحديث يصور لنا ما أصبح عليه الناس بعد بعثه سيد الأنام عليه الصلاة والسلام واعتناقهم لدين الإسلام ودخولهم فيه أفواجا وجماعات من تنافس في الخير فلم تعد الدنيا اكبر همهم ومبلغ علمهم لقد أصبحوا يتنافسون في ما يحقق لهم مرضاة الله ودخول جناته فتراهم لا يتركون فرصة تمر دون أن يغتنموها للسؤال عما يحقق لهم مرضاة الله والاستزادة من الخير.

نعم للغبطة ولا للحسد

«يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم».

إنها غبطة وليست حسدا والغبطة هي أن يتمنى المؤمن أن يكون له مثل ما لغيره من علم أو مال أو ولد أو تقوى وطاعة وهذا جائز فالتمني على الله والطلب منه أبوابه مفتوحة فقد قال جل وعلا ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في الحديث القدسي «هل من سائل فأعطيه؟» هل من صاحب حاجة؟» فالله غني وما عنده لا ينفذ وهو سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يسألوه الصغير والكبير والقليل والكثير حتى ملح الطعام وهو سبحانه وتعالى لا يعجزه أن يستجيب لكل ما يسأله عباده انه لا يضيق بكثرة السائلين ولا يضيق بالإلحاح في السؤال والله تبارك

وتعالى قادر على أن يعطي الجميع إذا ما أراد وشاء والغبطة أي الطلب من الله أن يعطينا مثل ما أعطى أو حتى أكثر – لبعض عباده – جائز ومباح بل مطلوب ومستحب وهو المراد من قول رسول الله ﷺ في الحديث «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلكه على هلكته في سبيل الله «أي يتصدق به» ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه للناس».

أما الحسد المحرم والمنهي عنه والذي ورد في الكتاب العزيز التعوذ منه «**ومن شرّ حاسد إذا حسد**» فهو تمني زوال النعمة عن عبد من عباد الله والعمل على إزالتها بالقول والفعل وهذا الحاسد ناقم على قضاء الله وقدره غير راض بقسمة ربه بين عباده وهو لا يسود ولا يبلغ مراده والتعامل معه ينبغي أن يكون بالصبر على آذاه.

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله النـار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكلـه.

الصحابة يضربون أروع الأمثلة في البذل

إن هؤلاء الصحابة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يعبرون عن غبطتهم لإخوانهم أهل الدثور أي الأثرياء الذين أفاء الله عليهم بخيره فوسع عليهم أرزاقهم فكانوا عليها وبها شاكرين لربهم. حيث أنهم اشتركوا مع إخوانهم ضعاف الحال في أنهم يصلون ويصومون لكنهم يزيدون عليهم بأنهم يتصدقون بفضول أموالهم وهو ما لا يستطيعه ولا يقدر عليه ضعاف الحال. يا له من تنافس في الخير وعلى الخير وياله من تحول عجيب فبعد إن كان يلهيهم عن ذكر الموت والبلى التكاثر ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ ها هم لا يرون في الدنيا إذا ما أقبلت على البعض منهم إلا أنها مجالا للاستزادة من الخير والأجر والثواب وفعلا فإن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ من أمثال أبي بكر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف وأبي الدرداء رضي الله عنهم وغيرهم ضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء بسخاء سرا وعلانية لا يريدون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا فكانوا يخرجون من أموالهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ويشترون الابار ويجهزون الغزاة ويعتقون الرقاب ويبتاعون القوافل المحملة بالتجارات ويجعلونها صدقة في سبيل الله على

المحتاجين والفقراء هؤلاء هم أهل الدثور الذين يفوزون بالأجور أي الثواب إنهم من لم تكن الدنيا اكبر همهم وهم الذين يجمعون أموالهم من الحلال الطيب وينفقونها في سبيل الله ابتغاء للأجر والثواب لقد استجابوا لأوامر ربهم المتكررة في كتاب الله العزيز ﴿**وَأَنفِقُوا مِمّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم**﴾ ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ..**﴾ إنهم من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الذين منهم الرجل (أو المرأة) الذي لا تدري شماله ما أنفقت يمينُه.

إن أهل الدثور الذين وفقهم الله ولم يغوهم الشيطان ولم يستحوذ عليهم وهو الذي يأمر بالبخل أهل الدثور هؤلاء يصلون كما يصلي غيرهم ويصومون كما يصوم غيرهم ويزيدون على ذلك أنهم يتصدقون بفضول أموالهم، والصدقة كما هو معلوم تطفئ غضب الله وتقي مصارع السوء وتشفي المرضى وتجعل يد صاحبها هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى.

ورحمة من الله بعباده أمرهم بما هو في مستطاعهم فجعل الصدقة تكون من الفضول أي ما زاد عن الحاجة فقد ورد في الحديث الشريف «إن لنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولربك عليك حقا ولربك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه».

وقد نهى رسول الله ﷺ احد أصحابه الذي استأذنه في الصدقة بكل ما له أو بنصف ما له وأذن له في الثلث فقط وقال له «لئن تترك ورثتك أغنياء أفضل من أن تتركهم فقراء يسالون الناس».

وقال عليه الصلاة والسلام «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول» وقال جل من قائل ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ**﴾ ولم يقل جل من قائل «ما تحبون» أي بعضا مما تحبون وليس كل ما تحبون لأن ذلك صعب وتكليف بما هو فوق الطاقة والله تبارك وتعالى يقول ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا**﴾.

وتصحيحا من رسول الله ﷺ للمفاهيم الخاطئة بيّن لأصحابه وللأمة من ورائهم أن الصدقة لا تكون بالمال فقط وإنما تكون من كل شيء قولا وفعلا وحتى

الاستجابة في إطار الشرع لما خلق الله في الإنسان من غرائز وشهوات، انه الإسلام الجميل العظيم الذي يوسع مجالات البر والطاعة فيجعلها لا تقتصر على مجال دون مجال.

الذكر صدقة اللسان

«أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون إن كل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تهليلة صدقة ونهي عن المنكر صدقة».

إن الأقوال وما ينطق به اللسان إذا كان من قبيل الطاعات التي ترضي الله صدقة ويا لها من صدقة فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه وقد كان رسول الله ﷺ يدعو ربه أن يعطيه لسانا شاكرا وشكر اللسان هو ذكر الله وهو ما أمر الله به عباده في كتابه العزيز فقال ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ وقال ﴿**اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ وقال ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ ومدح الذاكرين كثيرا والذاكرات وأوصى رسول الله ﷺ بذكر الله «**ليكن لسانك رطبا بذكر الله**» واعتبر حلق الذكر روضة من رياض الجنة «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر**» وقال في حق هذه الحلق والجالسين فيها «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**».

لقد اعتبر رسول الله ﷺ صدقة اللسان أفضل أنواع الصدقة فقال «**أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم وتجري بها المعروف والإحسان إلى أخيك وتدفع عنه الكربة**» **وقال** «**تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة**».

وعد رسول الله ﷺ من صدقات اللسان التسبيح «**قولنا سبحان الله**» والتكبير «**قولنا الله أكبر**» والتحميد «**قولنا الحمد لله**» والتهليل قولنا «**لا اله إلا الله**» كل تلك صدقات يقدر عليها كل واحد منا لأنها لا تكلفنا جهدا ولا عناء بل تجعل ألسنتنا

مشغولة بذكر الله عن اللغو وعن كل ما يغضب الله من الأقوال «السب والنميمة والغيبة واللهو واللغو وغير ذلك» وكل تلك مهالك لا نأبه لها وقد حذرنا رسول الله ﷺ من آفات اللسان حين قال لأحد أصحابه «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم**» فالواحد منّا يلقى بالكلمة لا يأبه لها تهوي به في نار جهنم.

فالكلمة إما طيبة وهي صدقة أو خبيثة فهي معصية وذنب ولذلك قال رسول الله ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» وقال الإمام مالك «**من عد كلامه من عمله قل كلامه**».

فالتسبيح الذي هو تنزيه لله سبحانه وتعالى والتكبير الذي هو تعظيم لله سبحانه وتعالى والحمد الذي هو شكر لله سبحانه وتعالى والتهليل الذي هو توحيد لله سبحانه وتعالى من أعظم الأذكار التي ترفع درجات صاحبها وتحقق له الفوز والنجاة والنجاح، قال رسول الله ﷺ «خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات منجيات ومعقبات وهي الباقيات الصالحات».

قالت أمُّ هانئ بنت أبي طالب كنت آتي رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله وأنا جالسة فقال قولي: الله اكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة متقلبة قولي سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله قولي الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسماعيل تعتقينهم قولي لا اله إلا الله مائة مرة لا يدركها شيء ولا يسبقها» وفي رواية احمد والنسائي انه ﷺ قال لأم هانئ «سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد اسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله وكبّري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقلبة وهللي مائة تهليلة ولا احسب إلا قال تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك إلا ان يأتي بمثل ما أتيت».

وفي الحديث «**من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كان له خير من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها**».

وعن أبي مسعود رضي الله عنه انه قال «إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مؤمن يقول خمس كلمات : سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهنّ فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل (**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**).

النهي عن المنكر عند توفر شروطه صدقة

«ونهي عن المنكر صدقة»

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من علامات خيرية أمة الإسلام يقول جل من قائل ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾.

وقد ندب الله أمة الإسلام لكي يكون منها وفيها طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حيث قال جل من قائل ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ كما دعا رسول الله ﷺ إلى النهي عن المنكر فقال «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان**» واعتبر رسول الله ﷺ المسلمين يركبون سفينة واحدة لا بد من نهي من يريد أن يخرقها وذلك لكي لا تغرق بكل راكبيها.

والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ينبغي أن يكونا بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ وقال الله عزّ من قائل ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ضرب من ضروب النصيحة

الواجبة على كل مسلم «**الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وهما علامة من علامات الأخوة الصادقة «**لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**» ولا شك أن الاستدلال بآيات ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ و﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ وغير ذلك من الآيات إنما يكون بعد القيام بما يجب علينا عندما نكون قادرين على القيام به عند ذلك وبعد ذلك ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾.

إن عدم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف عند القدرة عليهما يخشى منه أن يدخل القائل به تحت طائلة قول الله تبارك وتعالى ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ ومما استحق به من سبقنا غضب الله وشديد عقابه أنهم كانوا ﴿**لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند القدرة على القيام بهما واستيفاء شروطهما من أعظم أبواب البر والطاعة وهما من الصدقات التي يتحقق بها رضوان الله وجزيل ثوابه، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام والقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أحسن الوجوه وأتمها يخلف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في أعظم مهامهم وأحبها إلى الله ألا وهي هداية الناس إلا الصراط المستقيم.

التمتع بالحلال صدقة

«**وفي بضع أحدكم صدقة قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر**».

إنها لرائعة وعجيبة خاتمة هذا الحديث فهي تذهب إلى ابعد مدى يمكن أن يتصور الحصول منها على الأجر والثواب ولذلك جاء استغراب الصحابة كيف أن الله تبارك وتعالى في دين الإسلام يجازي بالثواب والأجر حتى على إتيان الشهوة وتلبية الغرائز التي خلقها الله في الإنسان شريطة أن يكون ذلك في الحلال

المباح، وعظمة الإسلام تتجلى في هذه الواقعية والتعامل مع الإنسان على سجيته، إن الإسلام يأخذ بيد المسلم ويهذّب سلوكه ويجعله يتوجه الوجهة التي لا عدوان فيها ولا ظلم لأحد.

إن المباح إذا اقترن بنية صادقة خالصة حسنة يصبح طاعة وقربة إلى الله وفي الحديث الشريف «**إنما الأعمال بالنيات**» و«**أنت ونيتك**» فالنية هي التي تقلب العمل العادي إلى عبادة وقربة وذلك عندما يقصد القائم به الاكتفاء بالحلال عن الحرام «**اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك**» وعظمة الإسلام انه لا يغلق بابا للشر إلا ويفتح في مقابله بابا للحلال المباح الذي يغني عن الحرام من ذلك تحريمه للزنا وإباحته للزواج واعتباره من سنن سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام الذي يقول «**وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» فالزوجة الصالحة هي الحسنة التي في الدنيا الواردة في الآية الكريمة ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ وقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته» واعتبر سول الله ﷺ الزواج سبيلا إلى العفة «**من تزوج فقد ملك نصف دينه**» وقال لزيد بن حارثة «يا زيد تزوج تزدد عفة» والزوج لزوجته والزوجة لزوجها كلاهما ستر للآخر ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾ والتكامل منهما وبينهما مطلوب فكل منهما ينبغي أن يكون قرة عين للآخر وكفاية للآخر عن الوقوع في الحرام قال ابن عباس لأحد طلابه «إنهن يحببن ﴿**زوجاتنا**﴾ أن نتزين لهن كما نحب أن يتزين لنا» وكان جواب رسول الله ﷺ كما هو دائما مقنعا وشاف ضاف حيث استعمل القياس إذ بضدها تتميز الأشياء «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر**» ما أقواها وما ابلغها من حجة وما أعظم الإسلام وما أروعه، إن الله تبارك وتعالى دعانا فيه إلى ما يحيينا وما يجعلنا نعبده في راحة وأريحية وتلقائية حيث لا تشديد علينا في دين الإسلام ولا تضييق علينا في هدى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فاللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم ممّن أنعمت عليهم وهديتهم إلى سواء السبيل آمين يا رب العالمين.

رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء مَحمد ابن عباد الرندي النفزي ثم الفاسي (733ـ792)

وصية يحتاج إليها كل مريد طالب للمزيد من الغني الحميد

بقلم : الأستاذ عبد الهادي هنركامب
الأستاذ بجامعة جورجيا ـ أمريكا ـ

نبدأ في هذا العدد من جوهر الإسلام بتقديم للقراء المحترمين بعض الرسائل في علم التصوف لأَحد من كبار العلماء المغاربة الذين ألّـفوا في السلوك، والتربية، والأخلاق؛ إنّه الولي الصَّالِحُ، وَالفقيه المحدث سيدي محمد بن عبّاد الرنديُّ النفزي الفاسي[1] – رضي اللهّ تعالى عنه ونفعنا ببركاته – الَّذِي عاش أيام دولة المرينيين في القرن الثامن الهجري، وكان إِماماً وخطيباً بجامع القرويين في مدينة فاس – حفظها اللهَّ من كلّ بأس – وبها توفّي ودفن سنة 792ه. وقد شهد له معاصروه أنه كان قدوة في سلوكه وآرائه مِمّا جعله يحظى بالاحترام عند الخاصّة والعامّة؛ بل كان من أبرز من أسسّوا للثّوابت الرّوحيّة الدّينيّة للطريقة الشاذلية بعد الإمام أبي الحسن الشاذلي وابن عطاء الله السكندري – رحمهما الله. وقد مثّل في سلوكه المَسْلَكَ الأخلاقيّ الشاذلي المْعتدل الأَصيل. هكذا عاش في فاس حتّى توفّي – رحمه الله – بمدينة فاس

[1] اسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن عبّاد النفزي الحميري الرندي. انظر فهرسة الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن أحمد السراج، ص 225–242؛ أنس الفقير لابن قنفذ، ص 79–80؛ نفح الطيب للمقري، ج 5، ص 341؛ الروض العطر لابن عيشون، ص 195–204؛ إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عبّاد لعلي الزيادي؛ السلسل العذب للحضرمي، ص 77–79؛ الإستقصا للناصري، ج 4، ص 84؛ نيل الإبتهاج لأحمد بابا التنبكتي، ج 2، ص 139–144؛ كفاية المحتاج لأحمد بابا التنبكتي، ص 369؛ جذوة الإقتباس لابن القاضي، ج 1، ص 315؛ درة الحجال لابن القاضي، ج 2، ص 276؛ سلوة الأنفاس للكتاني، ج 2، ص 149؛ شجرة النور الزكية لابن مخلوف، ج 1، ص 343؛ معجم المؤلفين لكحالة، ج 8، ص 207–208؛ طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الحسن الكوهن، ص 89–93؛ المطرب في مشاهير أولياء المغرب لعبد الله التليدي، ص 136–139؛ «ابن عبّاد الرندي: حياته ومؤلفاته» للغنيمي التفتازاني، في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1958، ص 221–258. وانظر أيضا إلى الرسائل الصغرى والرسائل الكبرى لابن عباد الرندي وأيضا إلى Paul Nwiya, Ibn Abbad de Ronda, Beyrouth: Imprimerie Catholique, 1965.

سنة 792/ 1390 حيث دفن داخل باب الفتوح في محلّ يسمّى «كدية البراطيل».

وهو معروف عبر العالم الإسلامي بشارح حكم ابن عطاء الله الإسكندري. لتأليفه شرح حِكم ابن عطاء الله: وقد وضع بعض النسّاخ لهذا الشرح اسم «كتاب التنبيه» مبنياً على قول ابن عبّاد في مقدمته «أخذنا في وضع تنبيه»؛ كما أنّ بعض النسّاخ أطلق عنواناً آخر على هذا الشرح فسمّاه غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية. طبع في القاهرة عدة مرات من أشهرها تحقيق الشيخ عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف[2]. وقد ظهر عن دار التقوى في دمشق تحقيق جديد أشرف عليه الأستاذ أنس الشرفاوي. وقد ألّف ابن عبّاد الشرح – حسب الشيخ أحمد زروق – بإلحاح أقرب أصدقائه في فاس يحيى السراج سليمان بن عمر الأنفسي[3]. والجدير بالذكر أن في الرسائل الكبرى عدة مقاطع طويلة قد طلب ابن عباد من يحيى السراج إضافتها إلى مواضيع معيّنة في شرحه؛ مِمّا يجعل من أهم مآثر ما ترك لنا ابن عبّاد ما كتبه من الرسائل وما ألقاه من الخطب والمواعظ[4].

* **الرسائل الكبرى**[5]: أرسل معظمها إلى صديقه وتلميذه يحيى السّراج (805 ه/ 1402م). مِن أبرز مَن ذكرها تلميذُ ابنِ عبّاد الشيخُ أبو يحيى محمد بن السكّاك (818 ه/ 1415م) في كتابه الأساليب، وهذا نصّ عبارته:

> مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول والقوّة، وقد أحتوت على نُبَذ تشّبه أنفاس الأكابر؛ وما أشبهه في حسن تصرّفه في الطريق الشاذلية وجودة تنزيله له على الصور الجزئية وبسط التفسير وإنهاء البيان فيه إلى أقصى غاياته والتفنّن في تقريب ما غَمُضَ إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية والتراكيب المألوفة عند العامّة إلّا بالفقيه الحافظ المحصِّل الإمام ابن رُشد؛ فإنّه قرّب المذهب المالكي تقريباً لم يُسبَق إليه – رحمة الله عليه – وكذا سيّدنا

[2] محمد بن عبّاد الرندي، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، الدراسة والتحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: مطبعة السعادة، 1970.

[3] هو «سليمان بن سوسف بن عمر الأنفاسي، ولد يوسف بن عمر صاحب التقييد على الرسالة، كان خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس، وكان ولياً صالحاً». أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ج 2، ص516؛ أنظر أيضا درة الحجال لابن القاضي، ج 2، ص 477.

[4] استعنا في هذه الترجمة بما كتبه الدكتور عبد القادر الزمامة في مقالته: «من أعلام الغرب الإسلامي: ابْنُ عَبّاد الرُّندي»، في آفاق الثقافة والتراث، ع 7، رجب 1415 هـ/ ديسمبر/ كانون الأول 1994.

[5] محمد بن عبّاد الرندي، الرسائل الكبرى، الدراسة والتحقيق كَنِيثْ هَنَرْكَمْب، بيروت: دار المشرق، 2005.

الخطيب العارف قرّب حقائق الشاذلية تقريباً لم يُسبق إليه.[6]

وقال أحمد زروق في عُدّة المريد الصادق في كلامه عن أصول القوم الأربع: «الثاني: شهود المنّة باستصحاب الشكر، ويجري ذلك في الجلب والدفع ديناً ودنياً وعِلماً وعملاً وحالاً وعليه مدار طريق الشاذليّة، وتحريرها في كتب ابن عطاء الله، وزبدتها في رسائل ابن عبّاد وشرحه.»[7] وقال يحيى السراج في فهرسته: «تكلّم في علوم الأحوال والمقامات وما يدخلها من العلل والآفات. وألّف في ذلك التواليف العجيبة، والتصانيف البديعة، وله أجوبة كثيرة في مسائل من العلوم، حتّى جمعتُ منها نحو مجلدين.» [8]

ومن مزايا الرسائل الكبرى ما أشار إليها الأستاذ محمد بن شريفة بقوله:

ونرى أنّ أصالة هذه الرسائل لا تتمثّل في مضامينها الصوفية فحسب، وإنّما تتمثّل أيضاً في مزاياها الأدبية والاجتماعية، وأسلوب ابن عبّاد في هذه الرسائل يجمع بين الجزالة والطلاوة وبين تقريب المعاني وتوضيحها أحياناً بألفاظ وأمثال أندلسيّة ومغربيّة، وقد جرت عادة معظم المترسّلين في الأدب العربيّ على ترسّم الفُصُح النهجية والرواسم التي تكاد تبتذل من تعاقب الاستعمال؛ أمّا ابن عبّاد الرندي، فلم يكن في ترسّله الإخواني يترسّم الأساليب الجارية أو يحتذي القوالب الجامدة وإنّما كان يستمدّ من طبع قوي وقريحة وقّادة وسليقة سليمة يسندها إلمام دقيق بلغة العامّة في عصره وتنبّه زائد إلى أساليبهم واستحسان لمقاصدهم واستنبال لأغراضهم، ولهذا لا نجده يأنف – كما أنف غيره – من التوكّؤ على معاني العامة والاعتماد على ألفاظهم وأمثالهم. [9]

ولابن عبّاد في ذلك رأي يعبّر عنه بقوله في أعقاب استشهاده ببعض الأمثال العاميّة مخاطباً يحيى السرّاج في الرسائل الكبرى: «والألفاظ العامية كثيراً ما

[6] كتاب الأساليب، مخطوط محفوظ في الاسكوريال تحت رقم 374، وجه 108/ ب.

[7] زروق، أحمد، عدّة المريد الصادق في الشيخ أحمد زروق: آراؤه الإصلاحيّة: تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق، تحقيق إدريس عزوزي، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1998، ص 432.

[8] فهرسة أبي زكريا يحيى بن أحمد السّراج الفاسي، ص 226.

[9] أبو يحيى الزجالي (694/ 1294)، أمثال العوام في الأندلس، الدراسة والتحقيق محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية: الرباط، 1395/ 1975، ج 1، ص 131.

أسوقها في كتبي وأصل بها الكلام الفصيح العربيّ، لأنّ الأمثال العامية تشير إلى معانٍ حقيقية لا يمكن أنْ يستفاد مثلها إلّا من الكلمات الحكيمة ثم هي أعلق بالقلوب والنفوس من كلّ مُنَمِّق من الكلام أودع الدفاتر والطروس، فلذلك أعتمدتها، فاعلم هذا»[10].

* **الرسائل الصغرى**[11]: أرسل بعضها إلى يحيى السراج وبعضها إلى محمد بن أديبة. تمثل هذه الرسائل أول مراسلات بين ابن عبّاد ويحيى والتي ستتطوّر إلى الرسائل الكبرى في نهاية المطاف. لعلّ هذه الرسائل كتبت خلال الإقامة الثانية لابن عبّاد في سلا، والراجح ما بين 770/ 1368 و772/ 1370. ومما ضمّت الرسائل الصغرى أجوبة ابن عبّاد لسؤال أبي إسحاق الشاطبي: هل يمكن اتّباع طريق الصوفية من خلال قراءة كتبهم أم لابدّ من شيخ مربّي؟ ذكرها المُقَّري في نفح الطيب[12] والشيخ أحمد زروق في شرحه الحادي عشر على الحكم العطائية وقال فيها: «وهي أوفر عِلماً وأوضح، وإنْ كانت الكبرى – يعني الرسائل الكبرى – أعظم نوراً وإفادةً»[13]. وقال الأستاذ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني في مقالته ابن عبّاد الرندي: حياته ومؤلفاته: «والرسائل الصغرى هي كذلك في جملتها وصايا يتوجه بها ابن عبّاد إلى مريديه السالكين مجيباً لهم على بعض أسئلتهم في التصوّف وشارحاً لهم بعض آدابه ومقاماته»[14].

* الرسالة الخامسة عشرة *[15]
وصية يحتاج إليها كل مريد طالب للمزيد من الغني الحميد

الحمد لله وحده. من أراد الاستقامة على سبيل الحقّ في دينه، والتحصّن من عدوه، والتخلّص من وساوس التفوس وضيقها وتقلّبها، والحصول على شرح الصدر، فليصحّح مقام الأدب مع الله – عزّ وجلّ – ظاهرا وباطنا في جميع أحواله. فذلك هو الشكر الموجب للمزيد. وينبني ذلك على أصلين: معرفته

[10] محمد بن عبّاد، الرسائل الكبرى، ص 280.

[11] ابن عبّاد الرندي، الرسائل الصغرى، الدراسة والتحقيق الأب نويا اليسوعي، بيروت: دار المشرق، 1974.

[12] أحمد بن محمد المقّري، نفح الطيب، 3/ 178.

[13] نقلا عن سلوة الأنفاس، ص 2/ 152.

[14] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، «ابن عبّاد الرندي: حياته ومؤلفاته»، ص253.

[15] محمد بن عبّاد الرندي، الرسائل الصغرى، الدراسة والتحقيق الأب بولس نويا، بيروت: دار المشرق، 1974.

بعظمة ربّه وكبرياته واتصافه بالصفات العلية والنعوت القدسية – وعلمه بخسة نفسه وضعتـها وعيوبـها وآفاتـها. فإذا أحاط علما بهذين الأصلين، نظر إلى نفسه وإلى ما أجرى الحقّ تعالى عليه من الأفعال والأقوال وما صرفه فيه من الأحوال، فسيرى حينئذ من لطف الحقّ تعالى به ورحمته وعنايته وفضله ما لا مطمع لأحد في إدراكه وفهمه. فيوجب ذلك محبّة وحياء يحملانه على الشكر للحقّ تعالى بشهود النعم وحسن الأدب معه. فإذا رأى نفسه على طاعة، فرح بمنّة ربّه عليه بها، من غير استحقاق ولا وسيلة. وكم من شخص لم يعطها! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في تحسينـها ونفي الآفات عنـها وإخلاص فيـها لربّه – عزّ وجلّ.

فيكون حينئذ بهذه الرؤية والأدب أفضل ممن استغرق أوقاته في الطاعات وأنواع العبادات مع فقدان ذلك. وكذلك إن رأى نفسه بحال نعمة من صحّة بدن أو نيل رزق – وإنْ قلّ – فليفرح بذلك وليشكر ربّه عليه، لعلمه أنّه لا يستأهل ذلك ولا يليق به. وليستعمل حينئذ حسن الأدب في الأستعانة بهما على طاعة ربّه – عزّ وجلّ – ولا يستعملهما في معصيته. وكم من شخص مبتلى بمرض أو فقر يتـمنّى ذلك ولا يجده.

وكذلك إنْ أبتلي بفقر أو أصيب بمرض أو مصيبة من مصائب الدنيا، فليفرح بذلك لأنّه سلك به مسلك الأولياء والصالحين. وليفرح بمنّـة ربّه – عزّ وجلّ – في ان لم تكن أكثر من ذلك، كما أبتلي به طوائف من الناس. وليستعمل حينئذ حسن الأدب في الصبر والرضى ونفي الجزع والشكوى، والدعاء إلى الله تعالى في سعة الرزق وكشف الضرّ وسؤال العافية في الدين والدنيا والآخرة. وإنْ أمكنه التسبب لاكتساب ما يغنيه، والتطبب لبرئه من دائه فليفعل ذاك فهو من حسن الأدب. وليشكر الله تعالى على تمكينه من ذلك وإذنه له فيه.

وكذلك إن أبتلي بذنب أو غفلة أو سوء أدب، فلا يغفل عن اللطف وخفي المنّة بذلك. فقد يكون ذلك سببا لخوفه ونفي عجبه والتجائه إلى ربّه، كما ورد في الخبر في قوله: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشدّ من ذلك: العجب العجب». وكم من شخص مرتكب لكبائر مستحل لها فرح بها! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في المبادرة إلى التوبة وتذكّر الخوف وكثرة الأستغفار والدعاء والبكاء. وذلك إنْ كان على مذهب إمام من إيمّة الدين، مجمع على إمامته، وهو يجد في

الحال مَن يأخذه عنه ممن تفقه فيه من أهل الدين، وقد أخذه عن شيوخه وشيوخه عن شيوخهم إلى أنْ ينيهي إلى ذلك الإمام، فليفرح بذلك وليشكر الله عليه. وكم من شخص قد قلد مبتدعا أو ابتدع هو من تلقاء نفسه فهلك بذلك! وليستعمل حسن الأدب معه في توقيره واتباعه في كلّ ورد وصدر. إلّا أنْ رأى في مذهب غيره من الأئمة المجمع على إمامتهم ما يقتضي احتياطا إنْ قوي عليه أو يقتضي رخصة إنْ احتاج إليها، ولم يكن في مذهب إمامه إنكار على من فعل ذلك، فليفعله ولا يسقطه ذلك عن درجة الأدب.

وكذلك إنْ ظفر بشيخ من شيوخ الصوفية سالك سبيل السنّة، فليفرح بذلك وليشكر الله عليه. وكم من شخص لعبت به أيدي الضالين المبتدعين، فهلك بذلك! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في الانقياد له في أوامره وترك مخالفته، وأنْ لا يكتمه شيئا من أسراره وأنْ لا ينتقل عنه إلى غيره.

وكذلك إنْ كان له صاحب أو أخ يسلم معه دينه ويجد معه مرافقا في دنياه – ويدخل في هذا الزوج والزوجة – فليفرح بذلك وليشكر الله عليه! وكم من شخص مبتلى بصاحب يخسر معه دينه ودنياه ولا يجد انفكاكا عنه! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في القيام بحقّ صحبته والوفاء بعقد اخوته.

وكذلك إنْ أقيم في سبب يجد منه كفاية، فليفرح بذلك وليشكر الله. وكم من شخص مبتلى بالالتجاء إلى الناس، وعاجز عن التسبب، غير راض ولا صابروليستعمل حينئذ حسن الأدب في نصح المسلمين بذلك، وترك الغش، واجتناب جميع مناهي الشرع التي يتعرض لها بسبب ذلك. وإنْ كان في عمل من أعمال البرّ، كتعليم القرآن أو غيره، فليحتسب مع ذلك ثوابه، وليترفّق في تعليمه ما أمكنه، ولا يجفو على متعلّم ولا يظلمه. وليراقب ربّه في ذلك.

وكذلك إنْ سمع بمثل هذه النصيحة أو رآها مكتوبة، فليشكر ربّه على ذلك وليفرح بها. وكم من شخص مصحوب بالغفلة والسهو أو مستنصح ولا يجد ناصحا! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في امتثالها والوقوف على حدودها وبذلها لأهلها. وملاك ذلك صدق الافتقار إلى الله تعالى والضراعة إليه في أنْ يوفقه لذلك ويعينه عليه. فمن أعطي ذلك، فليفرح به وليشكر الله تعالى عليه. وكم من شخص مبتلى برؤية نفسه واعتماده على عقله وحيلته! وليستعمل حينئذ حسن الأدب في

اتهام نفسه في تصحيح الاْفتقار الذي ذكرناه.

وهذا الذي ذكرناه من أوله إلى آخره داخل في معنى ما ورد في الخبر الصحيح من قوله عليه السلام: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنّه اجدر ألّا تزدروا نعمة الله عليكم».

وبالله التوفيق لا ربّ غيره ولا معبود سواه

ورأينا من المناسب هنا أن نضيف إلى هذه الرسالة من الرسائل الصغرى حكمة من حكم ابن عطاء الله الأسكندري – رحمه الله – مع شرح ابن عبّاد الرندي من كتاب التنبيه لمناسبة هذه الحكمة مع المواضيع العامّة في الرسالة. وبالله التوفيق.

49. حُسنُ الأَعمالِ نَـتائِجُ حُسنِ الأَحوالِ؛ وحُسنُ الأحوالِ مِنَ التَحَقُّقِ في مَقاماتِ الإنزالِ.

حسنُ الأعمال، تَوفيَـتُها بِمـا يَجِبُ لها مِن شُرُوطٍ وآدابِ عُبوديّةٍ لله تعالى، لا لِطَلَبِ حَظٍّ عاجِلٍ، ولا ثَوابِ آجِلٍ. وحسنُ الأحوالِ، أنْ تَكُونَ سالِمَةً مِنَ العِلَلِ والدَعاوي، مَوسُومةً بِسِمَةِ الصِدقِ. والتَحَقُّقُ في مَقاماتِ الإنزالِ، هو ارتِواءُ القَلبِ بِمـا يُـنزِلُه الحقُّ تعالى فيه مِن مَقاماتِ العُلُومِ والـمَعارِفِ، بحيثُ يَنتَفي عنه كُلُّ شَكٍّ ورَيبٍ. وهذه الثلاثةُ[16] الـمَذكُورةُ مُرَتَّبٌ بعضُها على بعضٍ. وهو معنى ما يقولُه الإمامُ أبو حامد – رضي الله عنه: لا بُدَّ في كُلِّ مَقامٍ مِن مَقاماتِ اليَقينِ، مِن عِلمٍ وحالٍ وعَـمَلٍ. فالعِلمُ يُـنتِجُ الحالَ[17]؛ والحالُ يُـنتِجُ العَمَلَ. وهذا الكلامُ، الّذي ذَكَـرَه المؤلّفُ، نوعُ استِدلالٍ على ما قالَه في الزاهِدِ والراغِبِ.[18]

[16] ن، ل: الثلاث.

[17] نظنّ أن ابن عبّاد نقل هنا قولًا للغزالي بمعناه. فقال الغزالي في بيان حقيقة التوبة: «اعلم أنّ التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتّبة: علم وحال وفعل. فالعلم أوّل والحال ثان والفعل ثالث. والأوّل موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه إطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت.» (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 7، ص 13.) وقال في حدّ الشكر: «اعلم أنّ الشكر من جملة مقامات السالكين، وهو ينتظم من علم وحال وعمل. فالعلم هو الأصل، فيورث الحال، والحال يورث العمل.» (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 7، ص 277.) وقال في بيان حقيقة الزهد: «اعلم أن الزهد مقام شريف من مقامات السالكين، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات؛ لأنّ أبواب الإيمان كلّها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل.» (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 8، ص 98.)

[18] محمد بن عبّاد الرندي، كتاب التنبيه في شرح حكم ابن عطاء الله الأسكنداري، الدراسة والتحقيق الدكتور أرآش أبوتورابي حمداني، لنيل الدكتورة من جامعة الجورجيا، 2023.

الشيخ ادريس الشريف: نبذة من سيرته وعرض لفتوى: التجنيس

بقلم الاستاذ جهاد الشيخ علي

■ ولد فضيلة الشيخ إدريس الشريف سنة 1866 بحي المنزه بالمدينة العتيقة بنزرت، حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في سن مبكرة، ثم التحق يطلب العلوم بالجامع الأعظم – المعمور – ليحرز على شهادة التطويع سنة 1895 رومي، ويقضي بعدها سبعة أعوام بالتمام والكمال بين جامع الزيتونة كمدرس (من الطبقة الثانية) والمطبعة الرسمية كمصحح، ويعود سنة 1920 إلى مسقط رأسه بنزرت. ونظرا لثقة الجميع به وبتوصية من الزعيم الوطني « محمد الحبيب بوقطفة » أوكلت له إمامتي الخمس والجمعة بالجامع « الكبير » سنة 1921.

■ ظل سماحة العلامة الشيخ، سيدي: « **إدريس الشريف** » محافظا على جميع الخِطط التي أسندت إليه من:

1. إفتاء بإقليم بنزرت.

2. تدريس بالجامع الأعظم المعمور.

3. تدريس بمسجد: « سيدي بن عبد الرحمان » بالمدينة العتيقة بنزرت (وقد تحول بعد مشروع توسعته سنة 2005 إلى جامع خطبة بإمامة فضيلة الشيخ: الصادق الدبوكي رحمه الله).

4. إمامة الخمس والجمعة بالجامع: « الكبير » ببنزرت.

5. عدالة الإشهاد وإبرام العقود.

إلى أن لبّى داعي ربه في شهر نوفمبر سنة 1936 عن عمر ناهز 70 عاما، قضاها بين التعلم والتعليم، فانتفعت به البلاد والعباد. (وقد حقق تاريخ انتقاله نجله الشيخ: محمد الحبيب الشريف – رحمه الله – بأنه كان في العاشر من أكتوبر سنة 1934).

إشتهر خبره في الآفاق بفتوى يتيمة وحيدة، ألا وهي ما يعرف «**بفتوى التجنيس**» ومعناه: « الاندماج في جنس آخر يختلف عنه عقيدة وشريعة » وهو مشروع فرنسي خبيث، أعدته فرنسا أمام الشعوب المستعمَرة، وأحاطته بأنواع من الامتيازات والترغيب والإغراء... ففي 20 ديسمبر 1923 رومي الموافق لسنة 1342 هجري، صدر قانون يقضي بمنح الجنسية الفرنسية للتونسيين الطالبين لها عن طواعية. ولكن عقلاء الشعب التونسي الأبي أدركوا أن هذا المشروع يهدف إلى محاربة الهوية العربية الإسلامية ويسعى إلى إفساد العقيدة، فاستنجد قادة وزعماء الحزب الحر الدستوري القديم بأعضاء المجلس الشرعي (بشقيه المالكي والحنفي) في أن يصدروا فتوى تقضي بحرمة التجنيس، وبأن المتجنس مرتد عن دينه، وتجري عليه أحكام الردة (إذا مات لا يغسل/ لا يصلى عليه/ لا يدفن في مقبرة المسلمين/ لايرِث ولا يورِّث...) ولكن للأسف المجلس الشرعي والمفتين الرسميين امتنعوا عن إصدار مثل هذه الفتوى. (**ورد في جريدة العصر الجديد عدد 163 سنة 1924 / 1342**)

« لطالما استفتينا على صفحات جريدتنا وفي نفس المكان المفتين الرسميين ببلادنا عن حكم الله في التجنس، وطالما رغبناهم ورجوناهم في التفضل بالجواب وبلغ بنا الرجاء إلى التوسل والتذلل فناديناهم: [يا علماءنا الأعلام، يا مصابيح الظلام، يا حماة الملة ورجال الدين...] وطالما ترقبنا الجواب أسابيع وشهورا فلم يتفضل علينا واحد منهم بكلمة ننشرها بيانا وبلاغا للناس... »

يقول المؤرخ السياسي والأديب «أحمد توفيق المدني» (كان من قادة الحزب الحر الدستوري توفي سنة 1983).

«ما خاننا يومئذ إلا كبار المجلس الشرعي، ذهبت إليهم واحدا واحدا بنفسي، فكنا نقابل بالترحيب ونخاطَب بالاحترام، ونقول لهم صراحة: إن التجنس حرام وكفر. فقال أحد المفتين (وهو شيخ الإسلام: محمد ابن يوسف) إن التجنس ردة ولا ريب في ذلك، ولكننا لا نستطيع إطلاقا وبأي صفة من الصفات إعلان ذلك لا قولا ولا كتابة، فالتهديد الذي صدر منهم (فرنسا) قاس شديد، ونحن لا نستطيع أن [نتمرمد] في آخر أعمارنا...»

إذا هكذا كان موقف الإفتاء الرسمي. فإن الشيخ العلامة « إدريس الشريف « لم يكن مفتيا بالحاضرة ولا عضوا بالمجلس الشرعي، ولكنه صدع بالحق، وخدم

وطنه وشعبه بصدق من خلال منبر ومحراب الجامع: « الكبير » ومن خلال مجلس الإفتاء (الفرعي) بمدينة بنزرت. ففي سنة 1932 وإثر وفاة أحد المتجنسين ببنزرت، طلب المناضل الكبير سي. « الحبيب بوقطفة » من فضيلة الشيخ سيدي « إدريس الشريف » الإجابة عن السؤال التالي:

■ **هل يغسل ويصلى على المتجنس إذا مات؟ وهل يدفن في مقابر المسلمين؟**

فكانت الإجابة: « إنّ المتجنّس لم يقصد خصوص التجنّس من أنّه عربي أو إفرنجي، وإنّما مراده أنه تجرى عليه أحكام الجنس الذي دخل فيه ونبذه لجنسيته ودينه وعدم إجراء الأحكام الشرعية عليه التي كان متمسّكا بها وتجرّ عليه غيرها رضى منه، فحينئذ لا دين له ».

ولقد كانت لحوادث التجنيس التي استفزّت الشعور الديني للتونسيين في الإيالة بأسرها الأثر في احتداد الشعور الوطني والنقمة على المستعمر. فقد كانت هذه الحوادث أشدّ وقعا من الحملة التي قادها الحزب الحرّ الدستوري التونسي (اللجنة التنفيذية) سنة 1923 إثر صدور قانون التجنيس (20 ديسمبر) إذ كثر عدد الوفيات بين المتجنسين المسلمين في مطلع الثلاثينات، وهو ما أدّى إلى مصادمات بين الأهالي والقوات الاستعمارية...

■ **فتوى «التجنيس»** هي في الحقيقة فتوى سياسية، صالحة لزمانها غير صالحة لزماننا، فلا يجوز بحال من الأحوال أن نحكم على متجنسي هذا العصر بالردة والمروق عن الدين.

لئن اشتهر « إدريس الشريف « بفتوى يتيمة وحيدة، إلا أن قيمة الرجل العلمية لا تساوي مجرد فتوى في التجنيس، بل هو المثقف البارع، والخطيب المفوه، والشاعر الحساس، والوطني الصادق، وخير دليل ما تركه في الساحة العلمية الدينية من تآليف منيفة ومصنفات عديدة بلغت 17 مؤلَّفا، لم يُكتب الظهور منها إلا لكتاب يتيم طبع من طرف نجله سي «محمد الحبيب الشريف» رحمه الله سنة 1960 يحمل عنوان: «تحرير البيان في الرفق بالحيوان» وأما البقية فمخطوطات يحتفظ بها حفيده الدكتور الجراح «إدريس الشريف» (الأصغر) والذي وعدني في أكثر من مناسبة أن يسعى لنشرها والانتفاع بها (وللأسف مازلنا ننتظر) منها نذكر:

1. إتحاف الإخوان في ضبط ورسم القرآن.

2. إجلاء المرآة لإظهار الضلالات (كتاب رد فيه فضيلته على دعاوى وضلالات الوهابية)

3. الإفادة في خوارق العادة (تحدث فيه عن كرامات الأولياء، واستعرض الأدلة المثبتة لوقوع الكرامات لهم)

4. بزوغ الشمس في الأجوبة الخمس (وهو تأليف أجاب فيه عن خمسة أسئلة تعلقت بالتصوف والأولياء)

5. بلوغ المرام في آباء النبي عليه السلام.

6. تبيان الإجمال في مقاصد الاحتلال (وهو كتاب تعرض إلى الدواعي التي دعت فرنسا لاحتلال تونس وبيان فساد سياستها)

7. حلية فكر السامع في تحقيق الفعل المضارع.

8. طلوع الهالات في أن صفات الله من مقتضى الذات.

9. لطائف الإشارات في أحوال الكائنات (كتاب يحتوي على تأملات في ما خلق وبرأ المولى سبحانه)

10. مطالع الأنوار في حكم الاحتكار والمعاملات مع من في ماله حرام والكفار.

11. النثر الرائق في كتب الرسوم والوثائق.

12. المسائل المفيدة والدرر الفريدة (وهي رسالة بين فيها فضل الأولياء والصالحين عند الله)

13. الدر النفيس من شعر إدريس (ديوان شعري اشتمل على كل الأغراض الشعرية)

■ من خلال هذه التآليف والمصنفات نستنتج أن ثقافة العلامة الشيخ «إدريس الشريف» ثقافة موسوعية شاملة.

فقد كتب في علوم شتى كالعقيدة وعلوم اللغة العربية والتصوف الإسلامي والشعر والفقه والمعاملات وفي الذود عن الوطن.

إدريس الشريف الرمز الوطني:

فمن خلال فتوى «التجنيس» نتبين وطنيته الصادقة، وشجاعته الأدبية التي ثبتته أمام مستجوبيه من الاستعماريين. وأيضا تتجلى وطنيته من خلال مخطوطه: «تبيان الإجمال في مقاصد الاحتلال» والذي ذكر فيه أن الاستعمار استعمل كل

الوسائل في سبيل الشر معلنا إياها باسم الحرية والإنسانية والمدنية...

■ يقول: «وإذا دافعنا عن أنفسنا دفاعا مشروعا رمانا (الاستعمار) بالتعصب والوحشية... »

■ ويقول أيضا: «وبعد أن قهرونا (الاستعماريين) جعلوا علينا حكاما منهم ومن الخونة الذين يحبونهم ويعتبرونهم رسل حضارة...»

و قد اتهم سماحته فرنسا باختراق التعليم الزيتوني الأصيل، عن طريق الزنادقة واشتبه في الخلدونية أن تكون للقضاء على التعليم الأصلي، فرفع شعار:

عَجَبًـا لِمَـنْ رَامَ التَقَـدُّمَ بِالعِـدَا فَهْـوَ الغَبِـيُّ وَ أُذْنُـهُ صَـمَّاءُ

وقد نبه – رحمه الله – في مخطوطه على أن نهضة التونسيين يجب أن تكون مبنية على قواعد سليمة، وإلا كان الأساس هشا، وسقطنا في بريق الثقافة الهابطة، فتحدث على: خيبة الأمل في مبادئ ولسن، نشأة الحزب الحر الدستوري التونسي، الوفود الوطنية إلى باريس، كما أقر أن الحركة الوطنية لا يُكتب لها النجاح إلا بالاعتماد على: إعداد القوة، روح التضحية، الحذر من الموالين لفرنسا والمتجنسين بجنسيتها، الإقلاع عن مساوئ الأخلاق، المحافظة على الهوية لغة ودينا.

كما رد على المتبجحين بمدنية الاستعمار الفرنسي، وأوضح أنها شعارات يخفون بها مقاصدهم بينما قيم الإسلام أصيلة، وهم الذين عملوا على طمسها منذ الحروب الصليبية والتقتيل والتعذيب في صقلية والأندلس، إلى الوحشية التي قاموا بها في المستعمرات على أيدي الجيش والشرطة التي حُولت مهمتها الأمنية إلى الأذية.

يقول في فقرة من المخطوط: « ...و كثيرا ما قتل المعمرون علانية الأهالي وإذا علم الحكام بذلك دفعوا جائزة للقاتل، ولربما طولب أهل المقتول بفدية الشرف للمستعمر حيث وقع له انزعاج في بدنه الذي تحرك لقتله... »

كما كان كثير الترداد لبيتين من شعره دفاعا منه على الهوية العربية الإسلامية، وردا على المبهورين المفتونين بالثقافة الغربية:

نُرَقِّـعُ دُنْيَانَـا بِتَمْزِيـقِ دِينِنَـا فَـلاَ دِينُنَـا يَبْقَـى وَ لاَ مَـا نُرَقَّـعُ

يُغْمَـى عَـلَى المَـرْءِ فِي أَيَّـامِ مِحْنَتِـهِ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ

الدعـوة الإســلامية في القـرن العشـرين

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان

إن القرن العشرين – من ناحية – هو قرن الحركات الإسلامية، ففي هذا القرن، قام المسلمون بإطلاق وإثارة حركات عظيمة الشأن، لا يأتي عليها الحصر، وهذه كلها كانت قد غلب عليها الطابع السياسي والثوري، مع تفاوت درجة الغلبة بين واحدة وأخرى، وقد بلغ – من حيث الكمية – ما تمتعت به هذه الحركات من عدد ضخم من الأتباع والأنصار ورصيد هائل من الوسائل والإمكانات درجة كافية لتمكينها من الظفر بالنجاح، ولكن هذه الحركات لم تلبث – رغم امتداد نفوذها وانتشارها بين قطاعات شاسعة من الناس – أن باءت بالفشل والإخفاق ولم تنل الأمة منها أية فائدة إيجابية من أي نوع. إن هذه الحركات قد هبّت كالزوابع الهوجاء، وتلاشت في الفضاء كأنها فقاقيع.

إن هذا الوضع المأساوي للمسلمين في القرن العشرين (20)، كان في الناحية السياسية، أما من الناحية الدينية (الدعوية)، فإننا نرى في هذا القرن بعينه أن قوة الإسلام الدعوية، مازالت تجتذب وتسحر كتلاً من السكان في كل قطر من أقطار العالم غير أن القادة والزعماء والإسلاميين، لم يوجهوا شيئًا يذكر من جهودهم وطاقاتهم صوب الميدان المتصل بالدعوة الإسلامية ولكن الإسلام بفضل ما يتمتع به من قوة وجاذبية، لم يزل لديه القدرة على التمكن من قلوب العالمين.

والأشخاص الذين وُفقوا إلى اعتناق الإسلام، خلال المائة (100) سنة الماضية، في شتى أرجاء العالم، يتجاوز عددهم الملايين. هؤلاء من الذين قاموا بدراسة الإسلام انطلاقًا من رغبة ذاتية أو بجهود شخصية، أسفرت هذه الدراسة

عن تأثرهم العميق بتعاليم الإسلام لدرجة أنهم لم يلبثوا إن اعتنقوه. وقد تعلم عديد منهم اللغة العربية حتى يتمكنوا من فهم الإسلام بصورة مباشرة، إن القرن العشرين (20) بالنسبة للمسلمين كجماعة قومية قرن الخيبة والخسران ولكن الإسلام في هذا القرن نفسه، كان ولا يزال يخطو بخطًى حثيثة نحو الأمام.

إن التاريخ الإسلامي بأكمله، يؤكد على أن أكبر ما يملكه الإسلام من قوة، هو (الدعوة إلى الإسلام) إن الإسلام يطابق الفطرة الإنسانية مطابقة تامة، وإنه لو عرض على الإنسان في صورته الأصلية، فلا يلبث أن ينفذ إلى قرارة نفسه، ويتمكن في صميم قلبه، وهو يجعل المرء مضطرًا إلى أن يعترف بأحقيته، والحقيقة هي أنّ الإسلام في ذاته يحمل قوة تسخيرية ذاتية لدرجة أنه يضطر الناس إلى التأثر والإعجاب به.

ولكن هذه القوة لا تعمل عملها إلا إذا أزيلت كل العراقيل النفسية بين الإسلام ومخاطبيه. وقد كان المسلمون في القرون الأولى يدركون هذا السرّ، إذ تمسكوا بمبدأ التسامح بصورة عامة حيثما حلوا من البلاد والأمم فاتحين، واعترفوا لكل واحد بالحرية الكاملة فيما يتعلّق بدينه، وكانوا يعلمون أنهم لو فتحوا صراعًا طائفيًا مع هذه الشعوب، أو بادروا الناس بالاضطهاد والقهر في أمر دينهم، فلتأخذنهم الحمية بالعناد والتعنت، مما يقودهم إلى إنكار أمر غير قابل للإنكار. وقد اعترف المؤرخ الانجليزي الشهير، (هنري توماس بكل) (1821م – 1862م) للمسلمين الأوائل بهذه الحكمة والتدبّر بكلمات مريحة، حين قال: «إن الدعاة الإسلاميين لعلى جانب عظيم من الحكمة والرؤية».

وفي كتاب (الدعوة إلى الإسلام للبروفيسور ت دبليو آرنولد)، توسع كاتبه غاية التوسع في بيان أن المسلمين في القرون الأولى قد التزموا في كل الأماكن والبلاد، بمبدأ التسامح الديني أشدّ التزام، بالرغم من امتلاكهم أزمة السلطة السياسية لم يتصدوا قط لإثارة الخلافات الدينية مع الشعوب غير المسلمة، وإن هذا هو السبب الأكبر في أن جزءًا كبيرًا من المعمورة في العصر القديم انضوى تحت الدّين الإسلامي. كذلك اليوم يمكن أن تبرز هذه القوة الدعوية للإسلام، بكل ما تنطوي عليه من إمكانات تسخيرية، ولكن ذلك منوط بأن يسبق المسلمون المعاصرون إلى

القضاء على جميع تلك الصراعات القومية التي هم فتحوها مع جيرانهم من غير المسلمين في كل بقعة من بقاع العالم، إن هذه الصراعات القوميـــة والتي أطلق عليها (الجهاد) خطأً، و أكبر عائق في سبيل بروز القوة الدّعوية للإسلام، ويوم يتم القضاء على تلكم الصراعات، سيأخذ يومئذ الفيضان الدعوي للإسلام في التدفق، وسيبقى يتدفق إلى منتهاه.

إن لكل مجموعة بشرية نظامين (العقائد السلطة) إنّ المسلمين المعاصرين تخلّفوا اليوم عمّن دونهم من الأمم والشعوب بالنسبة لنظام السلطة، ولكنهم مازالوا أقوى من شعوب العالم حتى اليوم بالنسبة لنظام العقائد. إلا أن القادة الإسلاميين في سائر أنحاء العالم، مشغولون في صدام مع الشعوب الأخرى في الميدان المتصل بنظام السلطة حيث لا ولن يعود عليهم بشيء سوى الهزيمة والنكسة والدماء، ولو أنهم تخلوا عن هذا الصدام العقيم، وجعلوا من الشعوب الأخرى مخاطبين في الميدان بنظام العقائد، فسرعان ما يدركون أن تاريخهم الراهن المليء بالنكسات والهزائم، قد تحول مساره وتغيّر اتجاهه.

فالنهوض، النهوض بالإسلام كقوة فكرية، فإنّ ذلك مما يُسفر فيما بعد عن اتخاذه الاعتبار الغالب على الدنيا من الناحية الفكرية،و بالتالي من كل النواحي الأخرى كذلك.

من مؤلفات فضيلة الشيخ صالح العود :

*** احكام الذبائح في الإسلام وعند اهل الكتاب**

*** منظومة السنا في الدعاء بأسماء الله الحسنى للامام احمد الدردير اعتنى بها وشكلها وقدم لها الشيخ صالح العود**

*** السيادة النبوية عند ذكر اسمه الشريف مشروعة بالكتاب والسنة**

*** عشرون فتوى شرعية في تحريم كتابة السور والايات القرانية بالأحرف اللاتينية واقوال العلماء.**

*** بالإضافة الى عشرات الكتب والرسائل الاخرى وقذ تفضل الشيخ صالح العود مشكورا باهداء العديد منها الى قراء مجلة جوهر الإسلام جازاه الله واجزل مثوبته ونفع به وبعلمه.**

في علاج معضلات الزمان
«الفلسفة الغزالية ... نموذجاً»

بقلم الدكتور محمد البشاري
أمين عام المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

من المألوف تصدر نخب علمية وفكرية وفلسفية في كل زمان ومكان، تبعاً لمستحدثات الحياة، وتحدياتها المتراكمة والمتجددة، الأمر الذي يستخلص عصارة العقول ويجعل من كل حقبة عنواناً لصيقاً ومصاحباً بإسم أحدهم.

لا يكاد يطرح حديث عن الحركة الفلسفية في العصور الوسطى، إلا ونجد حضوراً مثبتاً للفيلسوف أبو حامد الغزالي، الذي أحسن «الرحلة» الفلسفية، من خلال العمق الفكري، والإلمام الواسع الذي بدا في تفوقه على الكثير من الفلسفات السابقة

وإن المكانة الحقيقية للمواءمة الفلسفية الدينية، تظهر في سياقات الاحتدام بينهما، إذ لطالما تقشعت «غنائم» ومنافع من قلب كل محنة فكرية، أو معرفية، أو علمية. وإن صاحب المنهج البارز (الغزالي) أصاب في حل معضلات الجدل القائمة بين العقل والنقل، والذي شاع تأثيره الواسع في التفكير اللاتيني. مما يفرض العودة إلى التفاصيل البارزة في حياة ذلك المؤثر قوي الحضور وبخاصة في الإسلام، إذ برز أبو حامد الغزالي، علماً بين فلاسفة وعلماء الكلام والفقهاء

والصوفية، وأثبت مكانته المتقدمة في ظرفية «ثوران» بركان العلم الكلامي، فاستخدمت ها هنا فلسفته في غمار نقاشات طويلة، والرد على ما استهجنه سيما في محاوراته مع الشيعة بالعقل والدراية، إذ برز بشكل واضح اعتلاؤه صهوة الفلسفة الدافعة بنقد ما ينوف على عشرين مسألة من مسائل الفلسفة أوردها في مؤلفه: **(تهافت الفلاسفة)**.

وعلى الصعيد الديني، يمكننا القول بأنه تناول المعضلات الكبرى لعصره، فقد أظهر في مؤلفه: **(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة)** بخطوط واضحة كيف يبدو الحكم على من تجاوز الحدود الإسلامية، متناولاً الأصل العقدي كأساس للحكم، دون غيره في سياق الحديث عن الكفر والردة، وبذلك فتح مجالاً آخراً في فلسفته الناضجة التي عبرت بالاختلافات دون أصل العقيدة لمساحة مضيئة من التسامح، على اعتبار الخطأ والمخالفة لا تكفي مبرراً ولا تصح حجة في تكفير الغير. وفي ذات الوقت فقد أغلقت اطروحاته الفكرية باب الحكم الجماعي بأبعاد حاذقة مدركة لأن التعميم لا يكون إلا من عمى البصيرة وقصورها.

إن الحاجة لوجود الفلاسفة، تتلاقى والحاجة الدافعة لوجود الفلسفة ذاتها من تساؤلات وفضول يرافق إرادة الإنسان، دون أن يهدأ وجدانه وعقله بلا إجابة تروي ظمأه، ولذا فإن كل ذي صنعة هو فيلسوف في صنعته، كما هو طبيب في مهارته، فالفلاسفة مثلوا انعكاس الإرادة الجمعية لزمانهم، وكرسوا جهدهم وبذلهم في سياق ذلك، ومنه ما قدمه الغزالي للفقه الإسلامي من «اعتبار المصلحة العامة»، ومقابلة «صراع النجاة» بطرح رزين للوسائل والكيفيات التي تبني بشخصية المسلم المؤهلات اللازمة للنجاة من النار بعيداً عن الشعارات أو التحزبات المذهبية، وبالتالي فقد انعكس نتاج الغزالي وكأنه لبنة من لبنات مشروع «الارتقاء الحضاري بالإنسان» ومراعاة الأخلاقيات المحتمة في العلاقات الإنسانية، محدداً ضروريات لا زيح عنها من صون الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فإذا اعتبرناها كذلك، صح قولنا بأن كل ما يؤدي إليها ويحققها هو مصلحة وضرورة عامة.

مفاهيم إسلاميّة

الناس ازاء النعم صنفان: إمّا شاكر أو جاحد

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

جاء في الحكمة (**العافية تاج رؤوس الاصحاء لا يبصره إلا المرضى**) ان الذي يتامل هذه الحكمة وهو لم يكابد مرارة المرض وآلامه المبرحة لا يمكن ابدا ان يصل إلى ادراك الحقيقة التي عبرت عنها الحكمة باجمل اسلوب وبدون تزيد، وليس منا من لم تمر به ازمة مرضية خفيفة او ثقيلة وراى فيها ان كل متع الحياة بما فيها من مال وجاه وسلطان لا تساوي قلامة ظفر امام ما كان يتقلب فيه من صحة وعافية لا يعرف كنههما ولا يقدر قيمتهما إلا من سلبتا منه ولقد قيل (**لا تعرف النعمة إلا عند زوالها**) وان هذه الحقيقة التي تكاد تكون شاملة وعامة يختلف الناس في تقديرها على حسب مستوياتهم الذهنية وتاثيراتهم العاطفية. فأولئك الذين تبلدت ذهنياتهم وتحجرت عواطفهم يتقلبون فيما اتيح لهم من نعيم لا يحد وهم لا يشعرون بان لا لاحد عليهم منة او حق فيبذرون تلك النعم ويبددون تلك الطاقات فيما لا يجديهم ولا يجدي احدا من خلق الله نفعا بل لا يسمحون حتى لافكارهم ان تخلو لرشدها فترة من الفترات لتحاسب نفسها ولتشكر المنعم الاوحد سبحانه وتعالى وهو الذي قال عنه سيد الكائنات ﷺ (**قيدوا نعم الله**

بالشكر). لكنه سبحانه وتعالى عليم بتركيبة خلقه وبامزجتهم وما فطروا عليه فقد قال وهو اصدق القائلين **(قتل الإنسان ما اكفره)** واي كفران يا ترى يفوق ذلك الكفران الذي يدفع الإنسان ان يتبختر في ثياب مستعارة ليس له منها إلا ان يجعلها فوق بدنه اما موردها ومصدرها فالى غيره؟ .هذه هي اصل الماساة الإنسانية التي يتخبط فيها الضعاف والاقوياء على السواء لان كل قوة قابلة للزوال في اقل من اماضة الطرف ولو علم ذلك لكان حذرا مدى الحياة يخشى ربه أكثر مما يخشاه المعذبون والمحرومون اذ هو يخشاه من اجل الربوبية والعبودية التي هي قدر مشترك بينه وبين جميع الكائنات الحية ويخشاه من اجل الابتلاء بالنعمة التي حتى وان صبر عنها الصابرون قبل ان تاتيهم إلا انها اذا جاءتهم التصقت بانفسهم واصبحت الجزء الاهم من حياتهم .ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو امام الاتقياء والزاهدين **(لااحب الولاية واكره العزل)**. واذا كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه **هكذا فنحن بدون شك تواقون إلى كل نعيم حسي** او معنوي ولا تثريب علينا في هذا التوق والشوق انما التثريب والتانيب اذا نحن شغلتنا اموالنا عن ذكر الله وصرفنا ما امدنا به المولى من نعم وعلى راسها العافية عن محاسبة النفس وتذكر السلب بعد العطاء الذي كان يستعيذ منه ﷺ قولا وعملا **(اللهم انا نعوذ بك من السلب بعد العطاء)**.

هذه حالة عامة الناس اما خاصتهم وهم الذين شرح الله صدورهم للاسلام ونور بصائرهم بنور الحقيقة فلم تزدهم النعم المتقاطرة إلا خجلا من الله وحياء منه وهيهات ان تقصيهم عن حضيرة الهدى والرشاد بل كلما ازدادوا ارتفاعا في المستويات المادية والمعنوية ازدادوا انخفاظا لله ولعباد الله يالفون ويؤلفون ينسجمون مع كل الناس ويتجاوبون معهم كانهم اخوة الجميع واباء الجميع وابناء الجميع وما ذلك إلا لانهم ادركوا حقيقتهم سواء بما وقع على اشخاصهم او بما وقع على غيرهم او بما اخذوه من معتقدات لا تقبل التبديل ولا التحريف جعلهم كل ذلك انسانيين بالمعنى الصحيح لا تدفعهم النعم إلى التعالي والى التاله ولا تنزلهم البلايا إلى الضعف والتلاشي والجزع الصبياني لانهم يؤمنون اشد الايمان بان ذلك

ليس في صالحهم ولا يقربهم إلى الله زلفى ولا يديم لهم تعاليهم وتالههم ولا يزيل عنهم تاوههم وتالمهم .فخير من كل ذلك ان يحافظوا على توازنهم في حالتي العسر واليسر وان يتعرفوا إلى الله في حالة الرخاء والسعة حتى يعرفهم في حالة الضعف فقد قال ﷺ **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)** وقال ايضا: (اللهم انا لا نسالك رد القضاء ولكن نسالك اللطف فيه) وقال ايضا **(اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك)** اجل صدقت يا رسول الله انها لخمسة متلوة بخمس لابد من تعاقبها على كل شخص مهما توفرت له من اسباب وامتدت له من سبل. فاذا ادخر من السمان للعجاف وكان في تصرفه في السمان غير مبدد ولا مبذر ولابد ان تاتي العجاف وقد وجدت امامها من المدخرات ما يجعلها تمر بسلام لا تترك وراءها وجعا ولا الما، واما اذا اخذت السمان اخذ السفهاء وتصرف فيها اصحابها تصرف البلداء فما تاتي العجاف حتى تطحن بكلكلها جميع القوى المادية والمعنوية لذلك الارعن المعتوه ويصبح اثرا بعد عين ولقد كان في امكانه لو اوتي مثقال ذرة من رشد ان يتذكر قول الله تعالى: ﴿**فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب**﴾.

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بية

(رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي) :

*** تنبيه المراجع في تاصيل فقه الواقع**

*** مشاهد من المقاصد**

*** صناعة الفتوى وفقه الأقليات**

*** مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات**

*** سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات**

*** توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال**

الى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم بها فضيلته مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم.

بارك الله في جهوده وامد في أنفاسه ونفع بعلمه الامة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

البلاد الليبية والحفاظ على المالكية

بقلم الاستاذ ابراهيم الربو / ليبيا

في بيئة جبلية في الشمال الغربي للبلاد الليبية غير بعيد من حدود تونس الجنوبية الشرقية تُعرف بالجبل الغربي أو جبل نفوسة، وتحديدا في مدينة مسماة بالزنتان رأتْ عيناي النور في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، بيئة جغرافية تتخللها الهضاب والوديان ،وتنتشر في مناحيها أشجار الزيتون والتين واللوز والأعناب وبعض القمح والشعير، فالزراعة وتربية الإبل والأغنام هي عصب اقتصاد هاتيك البلاد بيئة موغلة في البداوة بعيدة نسبيا عن مضان المدينة ومضارب أهلها، شتاء قارس، وصيف جاف، ومدرسة ابتدائية إعدادية واحدة وبضع الكتاتيب والزوايا، الرجال في أغلبهم أميون اللهم إلا قلة قليلة نالت شيئا من القرآن وعلومه في الكتاتيب أو الزوايا، وقلة أخرى لا يتعدى أفرادها أصابع اليدين درسوا في مدارس إيطالية إبان الاحتلال الإيطالي لليبيا ولهم إلمام بالقراءة والكتابة، أما النساء فلا أذكر واحدة منهن على شيء من العلم .

هذه مقدمة أردتها استهلالا لما أردتُ أن أتحدث فيه وهو أمر لصيق جداً بثقافة الناس وتديّنهم في هاتيك الأيام حيث تسود قيم اجتماعية ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنها من حيث العرف يعدونها من باب الحشمة والتقدير والمبالغة في الاحترام، فعلى سبيل المثال لا الحصر من العيب أن تتحدث مع والدك في أمر زواجك إلا عن طريق طرف ثالث، أو تجلس معه في حضرة زوجتك أو أن تستمع في حضرته إلى الغناء والموسيقى، أو أن تستلقي على ظهرك في مكان يكون هو فيه في وضع الجلوس، ومَن يُقدم على شيء من ذلك يضعه الناس في خانة قليلي الحياء ويظل تصرفه القولي أو الفعلي أمر مُستهجن في نظر مجتمع متدين بالعرف قبل أن يكون متدينا بالدين، وكلما كبر الإنسان في السن اتسعتْ حوله دائرة الاحترام والتقدير من قِبل المجتمع فيصبح مصدراً للنصح والإرشاد وملاذا لمن يبحثون عن مُعين لحل مشكلاتهم ،، ورجوعا لقولنا أن ذلك المجتمع الذي عشتُ في

أحضانه طفلا ثم شاباً كان متدينا بالعرف أكثر من تدينه بالدين فلم تكن المواظبة على الصلاة مثلاً بالأمر الشائع أو التلكؤ في إتيانها بالشيء المستهجن، وكانت صفة (التايب) تطلق عادة على الشخص الكبير الممارس للشعائر وفي مقدمتها الصلاة، فكثيراً ما كنتُ أسمع من الناس عند حديثهم عن أي مشكلة بضرورة استشارة (التايب مسعود، أو التايب المبروك، أو التايب عبدالله) تمييزاً له عن غيره من الناس الذين لم يتوبوا بعد، ربما الشعيرة الوحيدة التي لا تهاون فيها هي شعيرة الصوم ربما لاقترانها بشيم الصبر والجلد فليس هناك البتة مَن يتجرأ على كسر حرمة تلك الشعيرة، وإن ثبُت على أحدهم فِعلُ ذلك فينتشر خبره في الركبان وتظل الدونية والاحتقار ملاصقة له، ويظل في نظر الناس غير مؤهل لأن يصاهروه أو يعتدّوا برأيه أو شهادته..!!!

كان الدين بالنسبة لطفل مثلي يتمثل في شيئين أولاهما الزيارات الموسمية لمقامات بعض الأولياء والصالحين التي كانت تنظم في صورة مهرجانات كبيرة يؤمها الناس من المناطق المجاورة، كنت أرى الناس بعد انتهاء الزيارة يتحلقون حول أحد الشيوخ يؤمّنون على دعائه في خشوع يُرى في عيونهم وأحيانا في دموعهم، وثانيهما يتمثل في الاحتفاء بمولد رسول الله ﷺ الذي يبدأ بطلوع شمس أول يوم من أيام شهر ربيع الأول حيثُ كنتُ أذهب مع والدي للمسجد البسيط ذي الطابع القديم حيث يأتي الناس بما تيسر من الأطعمة ويصدحون ببعض القصائد في مدح رسول الله وتعداد شمائله، ويستمر الأمر على ذلك المنوال إلى الثاني عشر من الشهر حيث يتجمع الناس في ساحة المسجد يقرأون قصيدة البردة وما على شاكلتها من قصائد في جو روحاني كان مصدر سعادة للكبار والصغار.

توالت السنون واتسعت دائرة المعارف وانتشر التعليم وامتلك الناس أدوات الثقافة من كتب ومنشورات وإذاعات، وانتشرت الجامعات والكليات والمعاهد وازداد الناس إلماما بدينهم وفق المذهب المالكي المعروف بيُسره وبساطته واتصاله بالإرث النبوي الشريف ،، لم يُعرَف في البلاد الليبية غير المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية مع نسبة قليلة من أهلنا يعتمدون المذهب الإباضي الذي لا يختلف عن المالكي إلا في جزئيات ثانوية ٠٠ وهكذا مارس الناس عباداتهم في وحدة واطمئنان

ووسطية ويُسر على مدى قرون، إلى أن هبّت على الناس عاصفة قادمة من الشرق يدفعها المال والبترول ويحدد مساراتها علماء نكن لهم كل تقدير واحترام ولكنهم امتطوا صهوة التشدد وضيقوا على الناس في بعض أمور دينهم فانحسرتْ دائرة المباح لصالح ما يسمونه بِدَعاً، وانتشرتْ فتاوى وأقوال واجتهادات كانت سبباً في جنوح بعض الشباب إلى ممارسات أدّتْ إلى موجة الإرهاب والعنف والتطرف التي شهدها العالم في العقدين الماضيين والتي أغرقت بعض البلاد العربية والإسلامية في عنف راح ضحيته الآلاف من أبناء الأمة ،، لم تنجُ البلاد الليبية من آثار تلك العاصفة فساد الجدل في المساجد ودب الخلاف في البيوت وتجدرتْ العصبية في الرأي واتسعتْ دائرة الاتهام بالتبديع والتفسيق، وأصبحتْ الوحدة العقدية في خطر واستُهلِكت طاقات فكرية شبابية في جدل فقهي عقيم بدل أن تُوظّف في مجالات العلم الحديث!!

لكن ربّ ضارة نافعة كما يقولون فقد أدرك الناس الآثار السلبية لتلك العاصفة بعد أن عايشوا آثارها لسنوات وتفقدوا ما خلفته من آثار على وحدتهم دينيا واجتماعيا، وبعد أن ضاقوا درعا ببعض مظاهر التشدد في الدين والتعصب لمذهب بعينه، وقارنوا بين آثار تلك العاصفة وبين ثوابت المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية التي تفيأوا ظلالهما على مدى عقود في وحدة اجتماعية ويُسر ديني ووسطية لم تحِد عن ثوابت الدين وأُسْ العقيدة ، وهاهي الكتاتيب والزوايا ودور تحفيظ القرآن في شتى أرجاء ليبيا تذكُر الناس بصلة المذهب المالكي برسول الله وصحابته وتقود العودة إلى يُسره ووسطيته، وهي عودة لا تقلّل من قيمة غيره من المذاهب أو تنتقص من علمائها، ولكنه النظر فيما يناسب العباد ويحقق وحدتهم وينأى بهم عن الجدل العقيم في أمور غيبية ليس لإدراك كنهها من سبيل، إلا أنّ تلك العودة مازالت مهددة بفعل آلاف المطويات فاخرة الطباعة والكتب التي تغري بعناوينها نظر الناشئة والبرامج الموجهة والفضائيات المؤدلجة فهي مستمرة في لعب دور ربما ليس لنا الإمكانيات للتقليل من آثاره، وهنا يقع على كاهل السلطات الرسمية في كل بلدان المغرب العربي أن تحرس تلك العودة إلى المنبع الصافي للمذهب المالكي بالنظر في آثار تلك الأدوات التي أوجدت شرخاً في أمننا الفقهي والاجتماعي، وأن تؤسس تأسيسا قانونيا لاعتماد المالكية بل ودسترتها وإنشاء المنارات العلمية والإعلامية التي تحرس هذه العودة!!!

فكرة الندوة الإسلامية بالقيروان

بقلم الأستاذ الطاهر بوسمة

تذكرت ما جرى منذ نحو خمسين سنة خلت عندما كنت واليا على القيروان، وبالتحديد في عشرية سبعينات القرن الماضي، وفي زمن الرئيس الحبيب بورقيبة عليه رحمة الله.

جاءتني الفكرة بعدما تذكرت عظمة القيروان وتاريخ رجالها وأمام اتساع وتنامي احتفالات المولد النبوي الشريف التي تقام بها كل عام حبا وكرامة لأزكى خلق الله سيدنا محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

رأيت القيروان وقتها زاهية في تلك الأيام المعدودات، وكيف تحتفل بها ويتضاعف عدد زوارها من كل الأنحاء وتفتح لهم الديار تسهيلا لإقامتهم مجانا لوجه الله.

كانت تلك الاحتفالات تقتصر عادة على تنظيم حفل بجامع عقبة إبن نافع رضي الله عنه بين صلاتي المغرب والعشاء، وتنشد فيه المدائح والأذكار وتردد مناقب سيد الانام عليه الصلاة والسلام، ثم يتفرق الجمع في المدينة بعد صلاة العشاء، انتظارا ليوم الغد لحضورحفل انشاد البردةفي مقام أبي زمعة صاحب رسول الله عليه ازكى صلاة وسلام، وتؤكل فيه العصيدة التقليدية التي تعد للخاص والعام، ويتفرق الجمع بعدها بين أسواق المدينة للتجوال والفرجة واقتناء بعض المأكولات من مفروض اختصت به تلك المدينة، وخبزها الذي تفوح منه رائحة حبة البركة للأولاد والنساء، وبعدها تقفر المدينة من الزوار، وكل عام وانتم بخير للعام القادم، إن طالت بنا الأعمار إن شاء الله.

رايت تلك الاحتفالات تشتد وتكبر أكثر عند زيارتها من طرف الرئيس بورقيبة المغرم بالأذكار، وخاصة بعدما مزجها المختصون فيها ببعض القصائد الوطنية التي تنوه بخصال الزعيم بورقيبة وتذكر بإنجازاته .

كان بورقيبة عليه رحمة الله يعتني بتلك الاحتفالات ويلقي محاضرة ذات شان من اعلى منبر الجامع الكبير الذي خطه عقبة ابن نافع، نفعنا الله ببركاته، وهو من اعظم المعالم التي تفتخر بها القيروان، ويزوره في المناسبات كبار الزوار، وكم رافقتهم في تلك الزيارات، ورأيت منهم بالغ التعظيم والاحترام، لذلك المقام سواء من العرب والمسلمين او من الوافدين الكبار من ملوك ورؤساء دول ووزراء جاؤوا كلهم خصيصا للقيروان.

تغيب بورقيبة مدة عن زيارة القيروان وغضب عليها لأ سباب زالت بالزمان وعاد اليها بعد غياب وتدرج بعدها ليعود اليها عامابعد عام ويزور فيها في الاثناء ولايات اخرى مثل المهدية وقابس وغيرهما ولكنه لم يجد ذلك الجو الذي اختصت به القيروان.

اغتنمت فرصة انشراح بدت عليه ذات يوم لما كان بالقيروان، واقترحت عليه الابقاء على تخصيص القيروان بتلك المناسبة وهي جديرة بتلك الخاصية فقبل مني الاقتراح وباتت من وقتها تلك المدينة وحدها تقام فيها تلك الافراح كل عام بمناسبة مولد سيد الانام عليه الصلاة والسلام .

من ذلك الوقت بدأت أفكر في تطوير تلك الاحتفالات واستقر قراري على إطالة أيام الاحتفالات بادخال برنامج اضافي يلتئم كل عام يحضره كبار العلماء من البلاد الاسلامية قاطبة لعدة ايام يتدارسون فيها شؤون المسلمين والاسلام والنظر في القضايا المستجدة الحارقة مثل المعاملات البنكية وما شابهامن فوائض وقضايا التامين على الاشخاص والبضائع والممتلكات وملاءمتها مع الشريعة وعلى كل حال لم يتجرأ أحد قبلها على التطرق لهذه القضايا بالرغم من التعاملات الجارية بهابين الدول والحكومات والافراد اضطرارا بعدما لم يعد بيدنا سلطان. فما زلنا نعتبرها حراماولكننا مجبرين عليها في كل حال.

وهكذا جاءتني الفكرة وقررت تنفيذها بكل احتياط لان كل من تكلم فيها لاقى اشد اعتراض، وبات من المحرمات.

رأيت بصفتي وال على ذلك الفضاء، أن اطرق ذلك الباب واضع الكل أمام مسؤوليتهم متأكدا من خطورة ذلك الشأن الذي بتنا جميعا نتجنب الحديث فيه لأنه يؤدي إلى الخسران اذا لم نضع له مقومات النجاح.

أعددت الأمر بإتقان وفكرت في العواقب وفاتحت مدير ديوان رئيس الجمهورية الا ستاذالشاذلي القليبي –رحمه الله– الذي وجدت لديه الاستعداد التام لتهيئة الجو المناسب مع الرئيس بورقيبة عند مقابلتي له، والذي وجدته كذلك وقبل الموضوع واذن بفتح كل الأبواب وتقرر رسميا إقامة ندوة إسلامية كل عام تنعقد في ايام الاحتفالات بمولد سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

وبذلك اختصت وزارة الشؤون الثقافية برعاية وزيرها محمود المسعدي، رحمه الله الذي افتتح أول ندوة بخطاب مهم مازال محفوظا في كتاب تم نشره في مجلة الحياة الثقافية. كما تكفلت وزارة الشؤون الثقافية بدعوة المشاركين من وزراء وكبار العلماء من كل البلاد الإسلامية بدون استثناء، متحملة مصاريف السفر.

بينما تعهدت الولاية (القيروان) بإقامة الزوار والسهر على الإعداد المادي للمكان الذي كان بدار الثقافة التي تم افتتاحها رسميا ذلك العام بعد إتمام الأشغال التي دامت عدة أعوام، فكانت احسن مكان دشنه بورقيبة في زيارته ذلك العام، وبارك ذلك الإنجاز الذي كانت القيروان جديرة به منذ زمان وتحقق بفضل من الله.

ولا ننسى ادارة الشؤون الدينية في هذا الشأن، وكان مديرها العام الشيخ كمال التارزي عليه رحمة الله احسن مساعد في استقبال الضيوف في المطار واختيار المواضيع المقترحة لكل عام، فكان اول موضوع تم اختياره منه ذلك العام – العلم والإيمان– وهو موضوع عام لم أشأ أن أناقشه فيه وجرت على أساسه كل المحاضرات وهي مدونة في كتيب خاص قامت بنشره وزارة الشؤون الثقافية ويمكن لمن يريد المزيد من الاطلاع الرجوع إليه إن أراد.

اما في العام الذي بعده فقد تجرأت واقترحت العنوان، واردته يتماشى مع الزمان، ولكنه في نظري كان حارقا، وكان على العلماء ان يقولوا فيه قولا، ويخلصوا الحائرين الذين لم يجدوا لتلك القضايا جوابا، وهو – **المعاملات المالية في الاسلام** – وقصدت بذلك المعاملات البنكية وقضية الربا في الاسلام، والتامين الذي يدخل في عقود الغرر لمن يريد الرجوع لمجلة العقود والالتزامات.

لقد عدت بالمناسبة للكتاب الذي جمعت فيه اعمال تلك الدورة والمنشورة بمجلة الحياة الثقافية وقتها، فلم اعثر على جواب يرتاح إليه الانسان، بل رايت تهربا من اغلب المتدخلين وتعويما للموضوع الذي بقي معلقا الى الان بالرغم مما

قام به مجمع الفقه الإسلامي من جرأة رأيتها لا تفي بالغرض الذي بات محيرا للحكومات والافراد .

لقد ذهب علماء المجمع بالنسبة للمعاملات البنكية التي باتت عامة وتتعامل بها جميع حكومات الدول الإسلامية كلها وبدون استثناء، لأن العولمة أوجبت ذلك على الجميع وباتت مفروضة علينا رغما عنا. بذلك أجازمجمع الفقه الإسلامي في منشوراته التعامل بالبنوك الإسلامية وحدها وسمى الفائدة بالربحيه.

ولكن تلك البنوك باتت اثقل على المتعاملين بواسطتها معقدة وثقيلة، وتحتاج منا إلى تخصيصها بالدراسة. بينما بالنسبة للتامين فقد تصح بعقود التكافل وحدها التي لم تخرج عن نظيرتها، ولم اقتنع بها شخصيا في كل حال.

وفي النهاية أقول وأؤكد اننا ما زلنا في حيرة، ولم يتجرأ الفقهاءعلى أكثر من ذلك بل كانوا في خشية من الرأي العام، ونسوا انهم القادة المعتمد رايهم في القضايا المستجدة خاصة، ولأننا لم نعد نتحكم في العالم.

وحتى أكون صادقا مع نفسي بالرغم من قلة علمي في الميدان، فقد أردت ان تكون تلك الندوة الإسلامية المحدثة زمن تولي مهام ولاية القيروان عامة لكل البلدان المسلمة وليست محلية كما أصبحت الآن، لقد أردتها منفذا للعلماء لينيروا للمسلمين الطريق في عصر لم نعد نتحكم فيه وحدنا بعدما باتت العولمة مفروضة علينا رغما عنا، لم يكن ذلك خاصا بنا بل كانت كل الحكومات تتعامل على هامش ما هو مقرر في كتب الفقه الصفراء التي لم تتطور بتطور الزمان، ورأينا حتى حكومات ما قبل الاستقلال تتعامل بالقروض الربوية في عهد البايات، وما جاء في التاريخ من عجز عن الوفاء بالديون الحالة، ممافرض علينا لجنة مالية ترأسها خير الدين باشا، الا أكبر دليل على ذلك.

لقد جرني لهذا المقال الصديق الشيخ صلاح الدين المستاوي الذي اهتم بتلك الندوة وناقشني فيها مطولا بعد تغير الأحوال، ومدني بتسجيلات البعض منها تكرما وهو ما قدرته واستجبت له شاكرا فضله علي وعلى الاسلام قاطبة ورعاية لحق مؤسس مجلة جوهر الإسلام والده الشيخ الحبيب المستاوي عليه رحمة من الله وقد كان من اكبر علماء الزيتونة في زمنها والسلام.

الحمامات في 18 أوت 2023

من آثار شيوخ الزيتونة :

تقديم كتاب: مختارات من آثار فضيلة الشيخ عمر العدّاسي رحمه الله

جمع وتحقيق الأستاذين محمد العزيز الساحلي وشاكر عادل كشك

بقلم: الدكتور فتحي بن الشريف العبيدي

وبعد فقد ابتهجنا في هذه الأيام المباركة بصدور كتاب هام يجمع لنا مختارات من آثار فضيلة الشيخ المقري والفقيه والإمام الخطيب **عمر العداسي** (1319هـ/ 1902م – 1410هـ/ 1990م) رحمه الله وجعل الجنّة مأواه. وهو الذي أفنى عمره بين التعلّم والتعليم. وكان مثالا للعالم الربّاني والمربّي المتفاني في خدمة الأجيال.

وهذا السفر النّفيس هو ثالث عمل على نفس المنوال، صدر لأخينا الفاضل الأستاذ الشيخ محمد العزيز الساحلي، وكان أولها **مختارات من آثار فضيلة الشيخ محمد الأخوة رحمه الله** بالاشتراك مع الأستاذ محمد بلغيث : إعداد وتقديم (صدر عن دار سحنون للنشر والتوزيع سنة 1438هـ/ 2017م) . وثانيها **مختارات من آثار سماحة الشيخ المرحوم كمال الدين جعيّط** مفتي الجمهورية التونسيّة الأسبق: جمع وتحقيق (صدر عن دار سحنون للنشر والتوزيع سنة 1442هـ/ 2021م). وهذه أعمال رائدة، أراد أخونا الفاضل الساحلي التعريف فيها بأعلام الزيتونة

المعاصرين، ونشر جوانب من آثارهم ليفيد منها القراء والباحثون والخطباء المبتدئون. وهي سنّة حميدة يتجلّى فيها برّ الأبناء بالآباء، واعتراف الخلف بفضائل السلف، والسير على نهجهم.

وقد عرفت شيخنا العزيز المرحوم **عمر العدّاسي** منذ السبعينات من القرن الماضي. لمّا كان يشرف بحضوره مجلس شيخنا الفاضل المرحوم **البشير المجدوب** (ت.1417هـ/ 1996م) الفقيه النّحرير، والخطيب المصقع، وذلك بجامع سيدي البغدادي بالعاصمة كل يوم أحد صباحا، حيث نجتمع – ونحن تلاميذ آنذاك – على سماع مدارسات علميّة ومذاكرات فقهيّة تجري بين الشيخين المذكورين في جو روحي أخوي قلّ نظيره، وكان شيخنا **البشير المجدوب** يقدم إلى شيخنا **عمر العداسي** مجموعة من الأسئلة الفقهيّة مكتوبة على جذاذات، سئل عنها، فيجيب عن كل سؤال منها. رحمهما الله تعالى رحمة واسعة.

وفضيلة الشيخ **عمر العداسي** من أعلام الزيتونة المعاصرين. ومن العلماء البارزين الذين قاموا بواجبهم التربوي على أحسن الوجوه، وأدّوا الأمانة العلميّة بكل إخلاص، وقد أخذ عن جمع من كبار شيوخ الزيتونة: منهم العلامة الشيخ إبراهيم المارغني (ت.1349هـ/ 1930م)، المفتي المالكي وشيخ القراء بالجامع الأعظم، والأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت.1393هـ/ 1973م)، وشيخ الإسلام محمد العزيز جعيّط (ت.1389هـ/ 1970م)، والشيخ الفرضي محمد الصادق الشطّي (ت. 1364ه/ 1945م).

وبعد التحصيل العلمي المتين على هؤلاء الشيوخ الأفاضل وأمثالهم، والحصول على شهادتي التطويع في القراءات والعلوم، باشر شيخنا المرحوم **عمر العدّاسي** التدريس في الزيتونة، واستمرّ في الارتقاء من طبقة إلى طبقة إلى أن سميّ مدرسا من الطبقة الأولى سنة 1368هـ/ 1949م، كما درّس بالمدرسة الصادقيّة.

وقد تخرّج على يديه عدد هام من الطلبة،منهم فضيلة الشيخ المرحوم حسن الخياري (ت.1411هـ/ 1991م)، وفضيلة الأديب المرحوم البشير العريبي (ت.1439ه/ 2018م)، والأستاذ البشير الشريف حفظه الله.

والكتاب صدر عن دار سحنون بتونس في هذه السنة الجارية (1444هـ/ 2023م) في طبعته الأولى، ويقع في ستمائة وتسع عشرة صفحة (619ص).

وقد قسمه الأستاذان الفاضلان الأخوان الساحلي وكشك إلى تمهيد وأربعة أقسام كما يلي:

– التمهيد: بقلم الأستاذ شاكر عادل كشك (من ص 5 إلى ص13) أي المجموع 9ص. وتمّ فيه وضع الكتاب في إطاره، وكذلك الترجمة الضافية لشيخنا المرحوم الراحل **عمر العدّاسي** بقلم الأستاذين الساحلي وكشك.

– القسم الأوّل : الخطب الجمعيّة (من 27 إلى ص 308) أي المجموع : 281ص

– القسم الثاني : الفقه وأصوله (من ص 309 إلى ص428) أي بمجموع 119ص.

– القسم الثالث: بحوث ودراسات إسلاميّة (من ص 429 إلى ص 548) أي بمجموع 119ص.

– القسم الرابع: ملحق (من ص 549 إلى ص 607) أي بمجموع 58ص.

ثمّ قسّم الأخوان الأستاذان الساحلي وكشك القسم الأوّل المتعلّق بالخطب الجمعيّة إلى ثلاثة فصول، الأوّل في العقائد والعبادات، والثاني في المعاملات والأخلاق وأحوال المجتمع، والثالث في المناسبات الإسلامية.

وجعلا تحت القسم الثاني المتعلق بالفقه وأصوله مسائل متفرقة حول الإكراه في الدين وأوقات الصلاة والصيام والحج والزكاة والسرقة وحدّ الزنا والشهيد في الإسلام والإجماع والاجتهاد...

وجعلا تحت القسم الثالث المخصص للبحوث والدراسات الإسلامية، بحوثا في التفسير وعلم الغيب والمسجد النبوي الشريف والرّبا ومصطلح الحديث

وعلاقة السنة بالقرآن وشرح بعض الأحاديث وقصة آدم وحواء والإسراء والمعراج والفقهاء السبعة.

وجعلا تحت القسم الرابع – وهو الملحق – بعض المتفرقات مثل الإجازات التي **تحصل عليها الشيخ المرحوم عمر العداسي، ووثائق شخصيّة، وأدعية مأثورة،** وصورًا تذكاريّة...

والنّاظر في آثار فضيلة الشيخ المرحوم عمر العدّاسي يجد أعمالا ذات بال، مفيدة ونافعة لقرائها، فالخطب الجمعيّة جاءت جامعة للأغراض الواجب توفرها في توجيه الأمة، سهلة في أسلوبها، دقيقة في معانيها، ثريّة بما تضمنته من فوائد وأحكام شرعيّة ومواعظ وعبر. والمسائل الفقهيّة والأصولية جاءت واضحة. بيّن فيها فضيلة الشيخ **عمر العداسي** بعض الأحكام الضروريّ معرفتها، والبحوث والدراسات جاءت شاملة لنواحي متعددة: وصايا قرآنيّة، ومباحث عقدية، وشروح لأحاديث نبويّة شريفة تربويّة. والغرض من كل ذلك إبراز صورة الإسلام الصحيحة للمخاطبين والمطالعين وحثهم على التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وآدابا، والاستقامة على النهج القويم.

نسأل الله عزّ وجلّ أن ينفع بهذا السفر المبارك كل من طالعه، كما نفع بخطب ودروس ومحاضرات شيخنا العزيز المقري الفقيه الأستاذ **عمر العداسي**، رحمه الله وجعل الجنة مأواه، وجازاه الله خيرا عن الأمة الإسلامية خير الجزاء. وأجزل الله ثواب الأخوين الفاضلين الأستاذين محمد العزيز السّاحلي وشاكر عادل كشك على جهودهما الجبارة التي بذلاها حتّى خرج هذا العمل الجليل على هذه الصورة المشرقة، وسدّد خطاهما.

شخصيّة الإمام البخاري: مَنارُ السّنة المشرّفه المُتوفّى ليلة عيد الفطر سنة 256هـ = 869م

بقلم: الأستاذ صالح العَوْد / فرنسا

كنتُ دُعِيتُ إلى زيارة الأستاذ الجليل ..فضيلة المُقرئ الشيخ محمود حسَن مُجاهِد حفظه الله، المُقِيم بمدينة بروكسل (حاليا)، وكان قد وصل (أوَّلاً) إلى العاصمة باريس– فيما مضى – سنة 1965م مبعوثا رسميًّا للدعوة الإسلاميّة من قِبَل (**المجلس الأعْلى للشؤون الإسلامية**) في القاهرة، فأقام فيها سنينَ عددًا تفوق الثلاثين، ثمّ تحوَّل عنها حيْث يُقيم الآن، وقد بَلغ تِسْعين عامًا.

فلما لبَّيْتُ دعوتَهُ المُنْتَظَرَة، وذلك في يوم الجمعة(14 جويلية 2023)، حرص كل الحرص– لَمَا كان يُكِنُّهُ لي من التقدير، والحبّ الخالص– أنْ أخطب الجمعة في مسجده المَعْمُور، فأبَيْتُ اِحْتِرامًا لِمَقامِه، لكنّه ألحَّ عليَّ وأصَرَّ على ذلك، وفي النهاية، لبّيْتُ وخطبْت، فكان الموضوع: حول (**سِيرَة الإمام البخاري رحمه الله**).

وبعْدما فرغتُ من إلْقائها وأدَاءِ الصّلاة، شكرَني غايَةَ الشكْر من حيث لا أشعُر، على موضوع الخطبة، ومعه سائرُ المصلين جزاهم الله خيرا.

فإن «خَدْشَ» سُمْعَة هذا الإمام الشهير قد سالتْ بها الألسنة والأقلام في عصرنا الحديث، وتطاوَل عليْه مَن لا يخْشوْن في مُؤمِنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة، بل أكثر مِن ذلك: فقد ظهرتْ كُتُبٌ حقيرَة، لا وجْهَ لها مِنَّ الصّواب، حسدًا من أصحابها، وحبًّا في الظهور، وعبَثًا بالقِيَم الراسِخة، وتَرْويجًا للتُّرَّهات، وكراهةً لِشعَائِر الدين الحنيف، وبُغْضًا لِرُموزِه ونجومهِ الشّامخة.

وأنا أقول، ومن الله تعالى الرضا والقبول إن شاء الله:

كفَى الإمام البُخاري رحمه الله: فَضْلاً..وفخْرًا..وصِيتًا..مِنْ حيْثُ لا يَدْرِي ولا يحتسِب، أنَّ كِتَابَه الذي ألَّفه بيْن المنبر الشريف والقبْر الشريف، والذي سمّاه «الجامِع الصَّحيح المُسْنَد مِن حديث رَسُولِ الله ﷺ وسُنَنِه وأيّامِه» كما روَى اسمَه الحافظ

أحمد بن حجر – في نحو سِتّ عشْرَة سنة، وكان يتهيّأ قبل البدْءِ في الكتابة: فيغتسل، ثمّ يُصَلِّي ركعتيْن، ويستخيرُ الله فيه، وقد اشترط الإمامُ البخاري في مَنْهَجِيَّة وضْعِه كتابَه هذا، شرْطيْن: هما (المعاصَرَة)، و(اللِّقاء)، وهي «خصوصيّة» له، انفرد بها دون غيره من سائر المحدّثين، ولذلك نجد حِرْصَ الأئمّة وعلماء الأمّة ممّن سمعوا من البخاري نفسه كتابه: (الجامع)، قد بلغوا تسعين ألفا، أمّا العناية منهم بهذا الأثر النفيس: شرْحًا أو تعليقا أو اختصارا، بَدْءًا بالإمام الخَطّابي (ت388هـ=998م) إذ يُعَد أوَّلَ شَارِحٍ، وسمّى شرْحَه: (أعلام السُّنن)، ولعلّ آخِر من علّق عليه وحَشّاه: هو العَلاّمَة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) بعنوان: (النظر الفَسِيح عن مضايق الأنظار في الجامع الصحيح)، وقد طبع سنة 1979 بتونس.

وذهب شيخ مشايخنا العلاّمة المحدّث محمد زكريا الكَانْدَهْلوي – دفين المدينة المنوّرة رحمه الله وطيّب ثراه – في مقدِّمَة كتابه (لاَمِع الدَّرَارِي على صحيح البخاري)، إلى أنّ شروح الجامع الصحيح قدْ نيَّفَتْ على مائة وثلاثين شرْحًا، ما بيْنَ مطوّل ومختصر.

ولله درّ الناظم في شخصيّة الإمام البخاري، يُعَدِّدُ مناقِبَه وفضائلَ جامِعه:

صَحِيْحُ البُخَارِيِّ لَوْ أَنْصَفُوهُ ** لَمَا خُطَّ إِلاَّ بِمَاءِ الذَّهَبْ
هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الهُدَى وَالعمَى ** هُوَ السَّدُّ بَيْنَ الفَتَى وَالعَطَبْ
أَسَانِيْدُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ ** أَمَامَ مُتُوْنٍ كَمِثْلِ الشُّهُبْ
بِهِ قَامَ مِيْزَانُ دِيْنِ الرَّسُوْلِ ** وَدَانَ بِهِ العُجْمُ بَعْدَ العَرَبْ
حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لاَ شَكَّ فِيْهِ ** تَمَيَّزَ بَيْنَ الرِّضَى وَالغَضَبْ
وَسِتْرٌ رَقِيْقٌ إِلَى المُصْطَفَى ** وَنَصٌّ مُبِيْنٌ لِكَشْفِ الرِّيَبْ
فَيَا عَالِماً أَجْمَعَ العَالَمُوْنَ ** عَلَى فَضْلِ رُتْبَتِهِ فِي الرُّتَبْ
سَبَقْتَ الأَئِمَّةَ فِيْمَا جَمَعْتَ ** وَفُزْتَ عَلَى رَغْمِهِمْ بِالقَصَبْ
نَفَيْتَ الضَّعِيْفَ مِنَ النَّاقِلِيْنَ ** وَمَنْ كَانَ مُتَّهَماً بِالكَذِبْ
وَأَبْرَزْتَ فِي حُسْنِ تَرْتِيْبِهِ ** وَتَبْوِيْبِهِ عَجَباً لِلْعَجَبْ
فَأَعطَاكَ مَولاَكَ مَا تَشْتَهِيْهِ ** وَأَجْزَلَ حَظَّكَ فِيْمَا وَهَبْ
وخَصّكَ في عَرَصاتِ الجِنان ** بنِعَمٍ تدومُ ولا تَنْقَضِبْ[1]

وفي الختام، فإنّه قد صدق القوْل في حقّ هذا الإمام، وكتابه الجامع الصحيح: «إنّه أصحُّ كتابٍ بعْد كتاب الله عزّ وجلّ».

[1] أورَد هذه القصيدة البديعة محقّق كتاب (التّوضيح لشرَح الجامع الصحيح/ للإمام ابن المُلَقِّنْ/ مج1 - ص 45): الأستاذ عبدالعزيز المشيقح، ناسِبًا لأبي عامر الفضل بن اسماعيل الجُرْجاني الأديب.

خُطبَةُ الجُمعَة

في فضل طلب العلم وتحصيله ومسؤولية الآباء والأمهات في ذلك

الحمد لله الذي علّم الانسان ما لم يعلم وارشده إلى ما به تتحقق مرضاته وامره بحسن تربية ابنائه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه صلى الله عليه وعلى آله الاطهار الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى أصحابه الكرام من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وارضاهم.

أما بعد ايها المسلمون،

أوصيكم ونفسي بتقوى الله في كل الاحوال في السرّ والاعلان وفي الاقوال والافعال فبالتزود بالتقوى أمرنا جل وعلا فقال ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾.

يعود ابناؤنا وبناتنا هذه الأيام إلى مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم لينهلوا من معين العلم العذب، العلم لذي نزلت آيات الكتاب العزيز وتوالت أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام تحث عليه وتدعو إلى اكتسابه وتحصيله. والعلم في دين الاسلام فريضة من الفرائض اذ الفرائض في الاسلام عديدة ليست الصلاة والصيام والزكاة والحج فقط فتلك اركان الاسلام التي بني عليها ولا يقوم إلا بها بعد النطق بالشهادتين.

كان اول ما نزل من الكتاب العزيز على رسول الله ﷺ وهو في غار حراء يتعبد ويتقرب إلى الله قوله جلّ من قائل ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ**

مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)﴾.

توالى بعدها نزول الايات مثل قوله جلّ من قائل **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** وقوله جل وعلا **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** وقوله **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**.

■ فطلب العلم في الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، وطلب العلم في الاسلام من المهد إلى اللحد، وطلب العلم في الاسلام في دار الاسلام وحتى خارج دار الاسلام ولو كان ذلك في بلاد الصين اشارة إلى بعد المسافة، اي ولو كان ذلك في اقصى الأرض اذ الحكمة ضالة المسلم انى وجدها التقطها.

والعلم علمان علم هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة وهو العلم الشرعي، العلم بما يجب لله تبارك وتعالى على العبد من ايمان بأركانه التي فصل القول فيها رسول الله ﷺ في جوابه على سؤال سيدنا جبريل عليه السلام في الحديث المعروف الذي يرويه سيدنا عمر رضي الله عنه .الايمان بالله واحدا لا شريك له ولا ندّ والذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الأول والاخر ليس كمثله شيء، وما يجب له من صفات الكمال وما يستحيل في حقه جلّ وعلا ذاك حقّ الله على عباده.

والايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر والقدر خيره وشره. فقد ارسل الله تبارك وتعالى الانبياء والمرسلين عليهم السلام ليبينوا للناس حقّ ربهم عليهم وليخرجوهم من الضلال والكفر إلى الايمان فبلغوا رسالات ربهم لم يحيدوا عن ذلك قيد أنملة ولم يُغيّروا ولم يُبدّلوا.

■ ومن الواجب على المسلم أن يؤدي ما فرض الله عليه من عبادات خلقه الله ليؤديها ولا يقبل الله من عبده سواها (**وما تقرّب إلى عبدي بافضل مما افترضته عليه**) والمسلم وهو يؤدي هذه الاركان (الصلاة والصيام والزكاة والحج) حسب احكامها وحسب ما بينه رسول الله ﷺ بسنته، اقوالا وافعالا واقرارات ثم قال (**صلوا كما رأيتموني اصلي**) (**وخذوا عني مناسككم**) .

الشأن في أداء هذه العبادات هو الاتباع لصاحب الشرع الذي اوحى الله اليه وعلمه ما لم يكن يعلم، لا مجال فيها للهوى والابتداع والعبادات البدعة فيها ضلالة والضلالة في النار ولا يعذر فيها الجاهل بجهله وسبيل تحصيلها إنما يكون بتحصيل العلم بها قال رسول الله ﷺ **(إنما العلم بالتعلم)** وقال **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)**.

■ يتلقى المسلم العلم ويحصله على ايدي العلماء الذين هم ورثة رسول الله ﷺ ولم يرثوا عنه مالا ولا ذهبا ولا فضة، فالانبياء لا يورثون قال رسول الله ﷺ (نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) ما تركه الانبياء عليهم السلام وخاتمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو هذا العلم الشرعي، العلم بما يجب لله على عبده من عقائد وعبادات، يحصّل المقدار الواجب عليه من احكامها بالتلقي والجلوس إلى العلماء من أهل الذكر يسأل المسلم عن كل شأن من شؤون دينه عملا بقوله تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ اذ لا يعذر الجاهل بجهله فالله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا اصوبه اي ما كان صحيحا مثلما انه لا يقبل إلا ما كان خالصا لله رب العالمين ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾.

■ ويجب على المسلم أن يتعلّم المعلوم من الدين بالضرورة في كل تصرفاته وسائر معاملاته بيعا وشراء وزواجا ونفقة وعدّة وطلاقا وارثا وهي مجالات فسيحة قلّ فيها ويا للاسف الشديد في المسلمين من يجتهد لمعرفتها ومعرفة الجائز وغير الجائز مما هوحرام نهى عنه الله تبارك وتعالى فترى المسلمين ويا للاسف في سائر تصرفاتهم يخبطون خبط عشواء استوى لدى الكثير منهم الجهل بالجائز وغير الجائز والحلال والحرام فما ربحت تجارتهم في الدنيا ولا في الاخرة، اين هو المسلم والمسلمة الذي لا يقدم على القيام باي شأن من شؤونه إلا بعد أن يسأل عن حكم الله ورسوله فيه؟ كأنّ بين حياة المسلم الدينية والتعبدية وحياته العملية في عقوده وبيوعه وسائر معاملاته جدارا فاصلا وبرزخًا! في حين أن كل حياة المسلم ينبغي أن يحكمها شرع الله وهديه ليس له الخيرة ولا يتبع الهوى وما تأمر

به النفس الامارة مما يرضي الشيطان ويغضب الرحمان، ففي ذلك الهلاك . .ثلاث مهلكات ذكر منها رسول الله ﷺ الهوى المتبع الذي يصل إلى تأليهه واتباعه دون الله ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾.

هذا ايها المسلمون هو ما سمّاه العلماء بالعلم الذي هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة يحصله ويطلبه ويسأل عنه أهل الذكر.

■ أمّا بقية العلوم بمختلف اختصاصاتها ومجالاتها فقد سماها العلماء **فرض الكفاية** إذا حصلها البعض سقطت عن البقية، وفرض الكفاية في العلوم مثل فرض الكفاية في العبادات والشعائر إذا تركها كل المسلمين فان الوزر يتحملونه جميعا كالآذان وصلاة الجنازة .

و هذه العلوم المختلفة التي يحتاج اليها المسلمون في عاجل حياتهم الدنيا لا بدّ أن يتفرغ لتحصيلها بعض المسلمين حتى لا يحتاجوا فيها إلى غيرهم ولا يكونوا عالة فيها على غيرهم ولا تكون ايديهم سفلى ولا يكون المسلمون في مرتبة متأخرة كما هي حالهم في العهود الماضية ولا يزال على ذلك اغلبهم فذلك داخل في قوله جلّ من قائل ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...**﴾.

■ وقوة المسلمين في كل مجالات الحياة هي التي تتجسم بها عزتهم (**ان العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين**) وتتجسم بها خيريتهم الحقيقية والكاملة الواردة في الاية الكريمة (**كنتم خير امة أخرجت للناس**) وأية خيرية وعزّة في امة هي في مؤخرة القافلة تعيش في دوائها وحتى في قوتها من خارج حدودها تنفق في ذلك الاموال الطائلة وتلجأ إلى الاقتراض وتدخل تحت طائلة القروض التي تفقد بها استقلال قرارها وحريتها؟!

■ لقد ارشد الاسلام في كتاب الله وسنة وهدي رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام الامة وكل فرد فيها إلى ما بثه الله في الكون من قوانين طبيعية والى جانبها قوانين حضارية واجتماعية لا تتخلف ولا تتغير ولا تتعارض مع التفكير القويم والعقل السليم الذي اعلى الله شأنه ونوه به في عديد الايات القرآنية والاحاديث النبوية و ذيّل بذلك عديد الايات مثل قوله (**أفلا يعقلون أفلا يتدبرون**) (**انها لا**

تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

من هذه القوانين الحضارية أن العلم إنما يكون بالتعلم، ومن لا يتعلم لا يمكن أن يعلم.وان الرزق يتحصل عليه بالسعي في طلبه (**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**) وان التواكل والتكاسل يتعارضان مع التوكل والسعي ارشد إلى ذلك رسول الله ﷺ ومثل عليه بالطير غير العاقل فقال عليه الصلاة والسلام (**لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كالطير تغدو خماصا** (خاوية البطون) **وتعود بطانا**). وهو عين ما وجه اليه الفاروق رضي الله عنه عندما صرخ في وجه من وجدهم يتركون السعي ويرفعون ايديهم بالطلب والدعاء قال لهم (قد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) ذلك هو هدي الاسلام (**اليد العليا خير من اليد السفلى**) (**ومن امسى كالا من كدّ يمينه امسى مغفورا له**) وان من الذنوب ذنوبا لا يمحوها إلا السعي على العيال في طلب الرزق الحلال فيد العامل الكال من عمله يدٌ طيبة طيب ريحها، يد يحبها الله ورسوله هذا هدي ديننا وهذا هدي نبينا عليه الصلاة والسلام.

■ المسلمون اليوم مضرب المثل في الكسل سواهم من الامم الاخرى في (اليابان وكوريا وبلدان جنوب شرقي اسيا وفي اروبا وامريكا) عندها العمل والانتاج والانتاجية في ارفع مستوياتها والمسلمون في ذلك في ادنى المستويات إلا من رحم ربك!!

■ وقد ارشدنا ديننا إلى هذه القوانين الحضارية فما لنا نخالفها ولا نتمسك بها أننتظر المعجزات والله يقول ﴿**ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم**﴾ والله تبارك وتعالى يقول ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾؟

■ بالعلم والعمل وبالتوكل على الله حق التوكل وبمراقبة الله الذي لا تخفى عليه خافية والذي امرنا بالاخلاص في كل ما نقوم به يحقق المسلمون سعادة الدارين.هذا ما ينبغي علينا أن نذكر به بعضنا البعض وهذا هو ما ينبغي علينا أن نتواصى به وهذا هو ما ينبغي أن نلقنه لأبنائنا فلذات اكبادنا (**إنما اولادنا أكبادنا تمشي على الأرض**) .

■ حبّ العلم والتفاني في تحصيله هو خير ما نورثه لهم ونتركه لهم من بعد

رحيلنا وهو ما يلحقنا أجره وثوابه عندما نفضي إلى ربنا ﴿**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرجعى**﴾ فنحن غير مقصرين في السعي على الابناء والبنات وذلك هدي نبينا (**لئن تترك ورثتك اغنياء افضل من أن تتركهم فقراء يسألون الناس**) هكذا قال رسول الله ﷺ لمن اراد أن يتصدق بكل ماله أو ينصف ماله، أذن له بالتصدق بالثلث والثلث كثير، نحن غير مقصرين والحمد لله في كل جوانب الحياة المادية وتلك غريزة وجبلة خلقها الله في الانسان وحتى في الحيوان.

■ ولكن الاهم من كل ذلك – ونحن فيه مقصرون تقصيرا شديدا – هو أن نضيف إلى الرعاية المادية للابناء والبنات من اكل وشرب ولباس ودواء وسكن ومصاريف تعليم وحتى زواج والتفكير في البناء لهم. الأهم من كل ذلك هو الرعاية الروحية والأخلاقية، أن نحصنهم في دينهم واخلاقهم وننشئهم التنشئة القويمة السليمة فذلك هو حجر الزاوية في سعادتهم في هذه الدنيا والاخرة.

■ هذا الجانب من تحمّل المسؤولية وتقوى الله في الابناء والبنات هو الذي فيه تقصير شديد انعكس ولا حول ولا قوة إلا بالله سلبا على الامة في كل ديارها وفي مختلف مجتمعاتها، اعتنينا بالفاني الزائل واهملنا ما هو باق وواجب وفرض عيني على كل اب وعلى كل أم. الام وما ادراك ما الام. (**والام مدرسة إذا اعددتها اعددت شعبا طيب الأعراق**).

لقد رسم الاسلام للمسلمين آباء وامهات المنهج القويم في تربية وتنشئة الابناء والبنات وما يجب عليهم فصلت القول في ذلك ايات الكتاب العزيز واحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

ذلك ما نعود اليه بالتفصيل ان شاء الله في قادم الايام هذا وخير ما يختم به الكلام كلام مولانا العزيز العلاّم ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرّة اعين واجعلنا للمتقين اماما**﴾ صدق الله العظيم.

واستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدي ولوالديكم انه هو الغفور الرحيم

خطبة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدّين المستاوي
بجامع المركّب الإسلامي – البحيرة، تونس

۞ يسألونك قل.. ۞

من يُرِد اللّه به خيرًا يفقِّهه في الدّين

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه الله

حول التطير والتشاؤم ببعض الاشياء

السؤال: يقول السائل الكريم ع ق اني عامل بالخارج عمري 72 سنة اقوم بواجباتي الدينية كما ينبغي والحمد لله قد اطلعت على كتاب في علم البدع وتعرفت على عدة اشياء من بينها اضطراب جفن عين العديد من الناس يقولون عندما يضطرب جفن عين الشخص لا بد هناك من سيمرض او هناك من سيفقد من الاقارب او احد افراد العائلة لكن انا عندما يضطرب جفن عيني تقع لي بعض الاشياء مثلا اخيرا اضطرب جفن عيني مرة فوقع لي حادث بعد اسبوع من اضطراب جفن عيني كاد يؤدي الى هلاكي فقد اصبت بكسر خطير عافاكم الله لكني نجوت من الهلاك والحمد لله سيدي الشيخ اطلب من فضيلتكم ان توضحوا لي بالتفصيل هذا الامر لأنني قلق اشد القلق جازاكم الله خيرا ووفقكم في اعمالكم والسلام .

الجواب: اعلم يا اخي ان التطير والتشاؤم ببعض الاشياء هو من عمل الجاهلية الاولى قبل الاسلام التي حاربها الاسلام حربا لا هوادة فيها في كل مظهر.من مظاهرها النكراء سواء كان التطير من بعض الاماكن او الازمنة او الحيوانات او بعض الاشخاص وكل هذا كان من عمل الجاهلية الاولى ولكن للاسف الشديد ان سوق التطير لا تزال رائجة لدى بعض الاوساط والاشخاص الذين لم تستنر قلوبهم وعقولهم بنور العلم والايمان السليم وقديما تطيرت ثمود بسيدنا صالح نبي الله عليه السلام فقد حكى القرآن الحكيم عنهم ﴿**قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون**﴾ الآية74 من سورة النمل وكذلك

كان فرعون وقومه يتطيرون بموسى عليه السلام وبما جاء به من عند الله قال الله تعالى حاكيا عن فرعون وقومه ﴿**وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**﴾ الآية 131 من سورة الاعراف افيرضى مسلم عاقل كامل الايمان بعد هذا ان يتشبه بثمود وفرعون وقومه وان يتطير من أي شيء؟ لأن التطير شعبة من شعب الشرك المؤدي الى الكفر بالله ورسوله وعليه يا اخي اطرح من نفسك هذا التطير المقيت وتوكل على الله فيما تريد القيام به من امورك فان الله يحب المتوكلين فقد نظم النبي ﷺ التطير والكهانة والسحر في سلك واحد يؤدي بالمسلم الى الخروج عن دائرة الاسلام حيث قال عليه الصلاة والسلام (**ليس منا من تطير او تُطير له او تكهن او تُكهن له او سحر أو سُحر له**) رواه الطبراني عن ابن عباس باسناد حسن ومن المعلوم لدى كل مسلم عاقل مستنير بنور العلم الذي تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة انه لا ينبغي للمسلم ان يخضع او يصدق باوهام ليس لها نصيب من الصحة او اساس من واقع ولكنه الضعف البشري وعدم التسلح بسلاح العلم الشرعي والا فما معنى ان يصدق انسان عاقل ان النحس والشؤم في شخص معين يراه او مكان معين يحل به او ينزعج من صوت طائر او حركة او سماع كلمة؟ لكنه الضعف الانساني والطبع البشري يسول للانسان ويزين له ان يتشاءم من بعض الاشياء لأسباب خاصة، فعلى المسلم القوي الايمان ان لا يستسلم لهذا الضعف ويتمادى فيه بل عليه ان يتوكل على الله تعالى ويقدم على كل امر يريد القيام به في عزم وثبات ولا يستسلم لهذا الضعف الذي لا يكاد يسلم منه احد الا من عصمه الله بعصمة الايمان الوثيق قال ﷺ (**ثلاثة لا يسلم منهن احد الظن والطيرة والحسد. فاذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فلا ترجع واذا حسدت فلا تبغ** أي تظلم المحسود) رواه ابو داوود والنسائي وابن حبان في صحيحه، فاذا كانت الامور الثلاثة مجرد خواطر لا يسلم منها احد ولا يترتب عليها شيء من آثارها بل هي من حديث نفس لا يطبق عمليا في سلوك الانسان المسلم فانها لا تضر عقيدة المسلم الحق، نصيحتي اليك ايها السائل الكريم اذا تطيرت من شيء تكرهه هو ان تقول (**اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك**) او تقول (**باسم الله لا ياتي بالخير الا الله ولا يدفع الشر الا الله**) وتقدم على ما تريد القيام به فانه لا يضرك شيء باذن الله. والله الموفق.

كلمة ختم السنة الدراسية (1444هـ=2023) في معهد الفرع الزيتوني بمدينة قابس التونسية

حرّرها وألقاها الشيخ صالح العَوْد حفظه الله ورعاه

بتاريخ يوم الأحد 21 ذي الحجة 1444 هـ= 2023/7/9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، القائل لنبيّه العظيم وسائر أمته : ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾.. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين إلى يوم الدين..

أما بعد :

سعادة مدير الفرع الزيتوني، السادة الشيوخ، الاخوة الحضور، الطلبة.. والطالبات : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يُسعدني سعادةَ شرف وابتهاج، ورغبة وامتنان، لأنْ أُدْعى، إلى هذا الحفل الكريم لختم السنة الدّراسية، وتوزيع الجوائز القيّمة، على الفائزين والفائزات، والنّاجحين والناجحات في صفّ التّخرّج النّهائي..

نَصَّ حُجَّةُ الإسلام : الإمام أبي حامدٍ الغَزالي رحمه الله، وطيّب ثراه: على جلالة العِلم الشريف، فقال في كتابه: (روضة الطالبين وعُمْدة السالكين) مج 6:

« اعلم أنّ العلم والعمل، لأجلهما خُلِقَتْ السّماواتُ والأرض، وما فيهما، قال الله تعالى : ﴿**الذي خَلَقَ سبْعَ سماواتٍ ومن الأرضِ مثلَهُنَّ، يتنزّل الأمر بينهنّ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا**﴾، وكفى بهذه الآية، دليلًا على شرف العلم، ووجوب طلبه، لا لا سيما علم التوحيد وقال تعالى : ﴿**وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون**﴾، وكفى بهذه الآيةِ دليلاً على شرف العِبَادَة، ولُزُوم الإقبال عليها؛ فأعظِمْ بأمريْن هما المقَصود من خلْق الدّاريْن.

ثم قال حجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد الغزالي رحمه الله:

واعلمْ أنه يجبُ تقديم العلم على العبادةِ، لأمرين:

– (أحدهما): لتَصِحَّ لك العِبَادة وتسْلَم.

– و(الثاني): هو أنّ العلْمَ النّافع، يُثمِرُ الخَشْيَةَ، والمَهَابَةَ لله تعالى، في قلب العبْد، وهُما يُثْمِرَان الطّاعة، ويحْجُزَان عن المعصيّة بعون الله وتوفِيقه؛ وليس وراء هذين مَقْصَدٌ للعَبْد في عبادة ربه سبحانه وتعالى؛ فعليك بالعلم النّافع».

إيجاز صحفي عن الندوة التي نظمتها رابطة بني العباس في موريتانيا يوم الاربعاء الموافق 14/ 06/ 2023م

نظمت رابطة الأشراف العباسيين، في موريتانيا ندوة علمية وثقافية، بقاعة المتحف الوطني، يوم الأربعاء الموافق: 15/ 06/ 2023، لهدف التعريف ببعض أعلامها، وتكريم بعض رجالها الذين خدموا المجتمع، وساهموا في بنائه، والرفع من مكانته...

وقد حضر الندوة لفيف من العلماء والأساتذة والباحثين، كما حضرها وجهاء وساسة ومثقفون، إضافة إلى جمع غفير من شيوخ ووجهاء وأطر الأسرة.

وقد افتتحت الندوة بآيات من الذكر الحكيم مع الشيخ والإمام حامد بن سيد أحمد بن بابياه، ثم تناول الكلام بعده الأستاذ والوجيه العمدة الأسبق لبلدية آوليكات عبد الله بن باب بن الدوا، مُرحبا بالحضور باسم المجموعة، ثم تلاه الأمين العالم لرابطة الأشراف العباسيين بموريتانيا الأستاذ محمدن بن بابياه، متحدثا عن الرابطة وفروعها في الخارج، مرحبا هو الآخر بالحضور الكرام، مبينا السياق العام الذي انعقدت فيه هذه الندوة، وموضحا بعض أهدافها وغاياتها..

ثم تتالت الكلمات بعد ذلك، وقد تمحورت حول التعريف ببعض الشخصيات التاريخية والعلمية للمجموعة، وكانت الورقة الأولى مع قطب الولاية والصلاح ظاهرة زمانه، وفريد أيامه، الولي الصالح، صلاحي بن آبني، قدمها المفتش محمدن بن المختار، وعقب عليها الأستاذ الجامعي الدكتور يحي بن البراء...

وتلت ذلك عروض تناولت إطلالة على بعض أعلام المجموعة التاريخية، كأتفغ أوبك والفاروق بن زياد، ومحمد فال بن ألمين بن آبني وغيرهم..

وقد ختمت الندوة بفقرة التكريمات؛ حيث كُرم خلال الندوة بعض شخصيات المجتمع أمثال: النش بن مدي، والولي بن سيد، وحمود بن أحمد باب، والشيخ بن محمد لوليد، ومحمد فال بن السالم..

ومن ضمن الشخصيات التي حظيت بالتكريم الشيخ المؤسس للأمانة العامة لبني العباس المرحوم حسني / أحمد العباسي المتوفي 31-3-2019 م.

وقد افتتحت فقرة التكريمات بتكريم الشاب العالم أحمد بن محمد الأمين بن باب، الحائز على الجائزة الأولى لحفظ المتون المحظرية في نسختها الأخيرة.

البيان الختامي للندوة الإقليمية الدولية لوثيقة مكة المكرمة الدورة الثالثة

عن المشاركين : الدكتور أحمد النحوي

انعقد في العاصمة الموريتانية انواكشوط يوم الخميس فاتح صفر 1445 هـ الموافق 17 أغشت 2023 الندوة الإقليمية الدولية النسخة الثالثة عن وثيقة المكرمة تحت عنوان: « **الأثر القانوني والحقوقي لوثيقة مكة المكرمة** ».

وقد افتتح هذا الملتقى بآيات بينات من الذكر الحكيم تلاها فيلم تعريفي عن الوثيقة ثم كلمة لمستشار الشؤون العلمية والإعلامية الدكتور أحمد النحوي عن الملتقي الذي تم افتتاحه رسميا من طرف الأمين العام لوزارة الشؤون الإسلامية الدكتور بيت الله ولد أحمد لسود وفي الجلسة الافتتاحية تحدث كل من رئيسة المجلس الجهوي لمدينة انواكشوط السيدة فطمة عبد ومعالي الأمين العام لهيئة علماء موريتانيا فضيلة الشيخ ولد صالح ومعالي رئيس الهيئة الوطنية للوقاية من التعذيب الدكتور البكاي عبد المالك وكذلك المديرة العامة لمكتب الرابطة في موريتانيا السيدة مسعودة بحام.

وقد حضر الجلسة الافتتاحية ممثلين عن السلك الدبلوماسي يتقدمهم سفير المملكة العربية السعودية وجمع من العلماء وقادة الفكر والرأي وبمشاركة ضيوف قادمين من كل من: جمهورية مالي، جمهورية السنغال، تونس والمملكة المغربية.

وبعد ذلك توالت الجلسات العلمية اتي أطرها دكاترة وباحثون وشخصيات علمية رفيعة من المغرب وتونس وموريتانيا والسنغالي ومالي عالجوا محورين أساسيين:

- الأثر القانوني لوثيقة مكة المكرمة.
- الأثر الحقوقي لوثيقة مكة المكرمة.

وبعد نقاشات مستفيضة وعلمية رصينة صدرت عن المجتمعين التوصيات التالية:

- التنديد بكل الاساءات الموجهة للإسلام والمسلمين والتي لن تضر إلا أصحابها المبتورين قال تعالى ﴿ **إن شائنك هو الأبتر** ﴾.
- التنويه بالجهود الكبرى التي يبذلها معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد العيسى في التعريف بالإسلام وقيمه العظيمة والدفاع عن ثوابته وهو ما تجلى في كل المؤتمرات التي تقيمها الرابطة حول العالم شرقا وغربا.
- دعوة كل الدول وخصوصا الدول الغربية إلى سن قوانين تجرم الإساءة للمقدسات وخصوصا المقدسات الإسلامية.
- الدعوة إلى تشكيل مرصد حقوقي يعني بمتابعة إنجاز توصيات وثيقة مكة المكرمة.
- دعوة البرلمانات الإسلامية والعالمية إلى المصادقة علي وثيقة مكة المكرمة واعتمادها كوثيقة قانونية رسمية في الدول الإسلامية.
- دعوة وسائل الاعلام إلى نشر مضامين وثيقة مكة المكرمة وتعميم مضامينها لتصل لكل الفيئات والطبقات.
- دعوة جميع قوي العالم إلى احترام حدود الحرية وعدم الافراط في استخدام المساحات الاعلامية بغية التحريض علي العنف والشقاق والانشقاق.
- الدعوة إلى اعتماد الوثيقة من طرف هيئات عالمية في مقدمتها الأمم المتحدة والهيئات الحقوقية العالمية نظرا لما تحتويه من مبادئ حقوقية.
- الإشادة بالدبلوماسية الروحية التي يقوم بها علماء ومشايخ ومرجعيات دول غرب إفريقيا وسعيهم الدائم لإصلاح ذات البين ووحدة الكلمة.
- تخصيص مسابقة حول وثيقة مكة خاصة بدول إفريقيا لتعميم قيم الوثيقة.
- الإشادة بمضامين المؤتمر الذى أقامته الرابطة في مباني الأمم المتحدة للتعريف بالإسلام وما له من نتائج عظيمة ملموسة كان من ضمنها تخصيص يوم عالمي لمواجهة الكراهية.

ختاما يتوجه المجتمعون في هذه الوثيقة بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني وحكومته الموقرة على رعايتهم لهذا الملتقي الجامع والذي يؤكد اهتمام موريتانيا قيادة وشعبا بالدفاع عن قيم الإسلام الحضارية ورسالته السمحة المباركة.

انواكشوط فاتح سفر 1445 هـ / 17 أغشت 2023.

هروبي الى الله

بقلم: صالح الحاجة

لم اتعب في اختيار عنوان لكتاب من كتبي مثلما تعبت في تحديد عنوان كتابي القادم ...

تعبت... واحترت... وكنت اجد العنوان ثم أتراجع...

وبلا مبالغة تجاوزت العناوين أكثر من عشرين وضعتها في سلة المهملات... وحاولت ان انساها...

ولكن يبدو ان العنوان الذي استقر عليه اختياري هو : **هروبي الى الله**...

وهذا عنوان جميل وبسيط ويلخص الحكاية... حكايتي مع الايمان... واليقين... والطمانينة الروحية...

انه يعبر كاحسن واوفى مايكون التعبير عن رحلتي مع الاسئلة... والتناقضات... والالغاز ... والغموض... والعبث ... واللامعنى... والحيرة... والشك...

انها رحلة البحث عن محطة الارتياح والانشراح والراحة والسكينة ...

كنت اهرب من محطة الى محطة... من حريق الى حريق... من فخ الى فخ... من نار الى نار... من وحل الى وحل...

ولم اكن اجد راحتي في كل المحطات فاغادرها الواحدة تلو الأخرى...

كنت ابحث عن اللذة والمتعة... فاظفر بشيء من اللذة والمتعة... ولكن سرعان ما يصيبني الندم والملل والقرف والاشمئزاز فاهرب...

وهكذا امضيت ايامي واعوامي بين لهو ولغو... بين شك ويقين... بين غيبوبة ويقظة... بين فجور وتقوى...

وفي النهاية لم اجد راحتي الا عندما هربت الى الله...

ولذلك كان « **هروبي الى الله** » هو العنوان الذي يليق بهذا الكتاب...

séances publiques de *dhikr*, et se soumettant avec obéissance aux directives de son maître, Sidi Muhammad al-Bûzîdî.[1] Sur le plan de la doctrine, il avait profondément assimilé la doctrine d'Ibn 'Arabî, ce qui n'était nullement le cas d'Ibn 'Abbâd. Ce dernier était à la fois beaucoup plus effacé et, à son époque, la personne la plus qualifiée pour expliquer les préceptes de la Voie. Ces trois modèlés de la voie shâdhilite avaient des vues similaires dans certains domaines et des vues divergentes dans d'autres. De même que les fondateurs de la *Tarîqa*, Abû al-Ḥasan al-Shâdhilî, Abû al 'Abbâs al-Mursî et Ibn 'Ata' Allah furent, pour Ibn 'Abbâd, un exemple et une source d'inspiration, de même Ibn 'Abbâd fournit lui-même le point de repère qui nous permet de situer ceux qui ont suivi ses pas. C'est sans doute en ce sens qu'il faut comprendre la parole d'lbn 'Âshir: «lbn 'Abbâd est une communauté à lui seul».[2]

Enfin, il faut faire remarquer que l'influence d'lbn 'Abbâd a été au-delà de la voie shâdhilite. En effet, nous l'avons vu, sa voie était un reflet de la spiritualité essentielle de l'islam, un équilibre entre ses facettes intérieures et extérieures. Aḥmad al-Tâdilî alSawma'î (m. 1013/1592) est l'un des soufis marocains les plus connus du XVIeme siècle. Dans son livre *Kitâb al-mu'zâ fî manâqib al-shaykh Abû Ya'zâ*, qui est une biographie du célèbre cheikh marocain Abû Ya'zâ, il donne l'appréciation suivante sur les œuvres d'lbn 'Abbâd et la position de leur auteur parmi les grands maîtres soufis. Cette citation conclut de façon pertinente l'exposé sur l'influence d'Ibn 'Abbâd et de ses œuvres dans le domaine du soufisme :

> Les maîtres sur lesquels on se base pour suivre la Voie (*sulûk*), pour l'approfondir et la réaliser, sont les suivants : la « preuve de l'islam » Abû Ḥâmid al-Ghazâlî ; Abû al-Qâsim al-Qushayrî ; maître de Ghazâlî al-Shihâb alSuhrawardî, l'auteur des *'Awârif* ; Abû Ṭalib al-Makkî et le *shaykh al-islâm* 'Abdallah al-Anṣârî al-Harawî. La quintessence de tout ce qu'ils ont écrit et composé se retrouve dans les ouvrages de la « couronne des gnostiques », Ibn 'Atâ' Allah, principalement dans ses *Hikam*. Enfin celui qui est l'achèvement du *taṣawwuf* et le guide des gens de la sincérité (*imâm ahl al-ṣidq*) et des gnostiques, c'est Abû 'Abd Allah lbn 'Abbâd. Tout est contenu dans son *Tanbîh* et ses deux recueils de Lettres, le grand et le petit 28 ».[3]

(à suivre).

[1] Ce fut son maître Muhammad al-Bûzîdî, un disciple de Mulay al-'Arabî al-Darqâwî, qui demanda à Ibn 'Ajîba de rédiger un commentaire des Ḥikam d'Ibn 'Aṭâ' Allah.

[2] « Ibn 'Abbâd umma wahdahu. », cf. Kitâb al-Asâlib, fol. 109v.

[3] A. al-Tâidilî al-Sawma'î, 1996, p. 120. Traduction de P. Nwyia, 1961, p. 121.

Dès lors, Ibn ʻAjîba s'affilia à la *Tarîqa* Darqâwiyya ; il participa à la propagation de cette confrérie et fut finalement mis en prison à cause du rôle actif qu'il joua et de son refus de rétracter son affiliation.[4] Il écrivit plus tard son propre commentaire des *Hikam* d'Ibn ʻAta' Allah sous le titre de *Îqâz al-himam* (L'éveil des énergies spirituelles).[5] Cette œuvre a servi jusqu'à aujourd'hui à perpétuer l'héritage d'Ibn ʻAbbâd et d'Ahmad Zarrûq, car Ibn ʻAjîba y emprunte beaucoup à ses deux prédécesseurs. Son propre commentaire devint cependant plus populaire parmi les Shâdhilîs, en Occident comme en Orient musulmans.[6]

Situons maintenant Ibn ʻAbbâd parmi les représentants de la voie shâdhilite : on peut dire que les Shâdhilîs des débuts furent des contemplatifs qui vécurent dans le monde, qu'ils pratiquaient pour la plupart non seulement le soufisme mais aussi l'étude d'une grande gamme de sciences islamiques exotériques. Ibn ʻAbbâd, qui a été formé comme savant et était par tendance un contemplatif, connut la voie shâdhilite à ses débuts au Maghreb grâce à la lecture des œuvres d'Ibn ʻAta' Allah. Par son propre exemple et son application des principes de cette voie, grâce à ses écrits, Ibn ʻAbbâd a fourni un modèle en conformité avec les préceptes qui avaient été établis par les fondateurs successifs, trois générations avant lui. L'exemple qu'il donna porta des fruits dans les générations qui suivirent sous la forme de savants qui cherchèrent la voie de la connaissance intime de Dieu (*sulûk al-Tarîqa*). Il en est deux qui sont plus particulièrement importants quant à leurs œuvres et à l'influence qu'ils ont exercée sur les générations ultérieures : Ahmad Zarrûq et Ibn ʻAjîba.

Nous avons cependant tendance à penser qu'Ibn ʻAbbâd représentait le « juste milieu » et que Zarrûq et Ibn ʻAjîba étaient les côtés opposés de ce «juste milieu». Zarrûq était un *faqîh* et un ferme défenseur du soufisme en tant qu'intériorisation de la Loi, mais d'une Loi vue comme *fiqh*[7]. Ibn ʻAjîba, au contraire, était un *sûfî*,[8] très actif dans la propagation de son ordre, participant aux

[4] La façon dont Ibn ʻAjîba passa d'un éminent faqîh à un soufi rejeté, et son rattachement même à la Darqâwiyya valent d'être lus dans la Fahrasa.

[5] Publié de nombreuses fois en arabe ; cf. par ex. l'édition du Caire, Dâr al-Maʻârif, 1983.

[6] Nous avons entendu d'un disciple du Cheikh ʻAbd al-Raḥmân al-Shâghûrî, un représentant de la Shâdhiliyya en Syrie, que son maître préférait que ses disciples lisent les Îqâz al-himam plutôt que le Tanbîh. De nos jours, le premier commentaire est aussi beaucoup plus consulté au Maroc que le second.

[7] Dans ses Qawâ'id al-taṣawwuf, Zarrûq écrit : « Ainsi la réfutation par le faqîh du sûfî est valide, tandis que la réfutation par le sûfî du faqîh ne l'est pas» (qâʾida 26), op. cit., p. 22. Voir aussi la qâ'ida 4, p. 8, ou il écrit : « il n›y a pas de fiqh sans soufisme et pas de soufisme sans fiqh ».

[8] « La loi religieuse (Sharî'a) est une porte, et la Réalité spirituelle (haqîqa) est un retour (iyâd) », écrit-il dans la Fahrasa, p. 63.

2. Conformité à la Sunna en paroles et en actes;

3. Fuite devant la création, dans l'abondance comme dans l'adversité;

4. Satisfaction à l'égard de Dieu dans la pauvreté et l'abondance;

5. Se tourner vers Dieu dans la Joie et dans la Peine.

II est permis de penser que les préceptes énumérés par Zarrûq représentent une version systématisée des enseignements essentiels d'Ibn 'Abbâd, et qu'ils sont un reflet direct de l'influence formatrice qu'lbn 'Abbâd exerça sur la Shâdhiliyya.

II est sûr que Zarrûq n'était pas « abbadien » de tempérament, comme sa vie et ses œuvres le prouvent. Il n'avait ni la fluidité ni l'intuition si caractéristiques des *Rasâ'l al-Kubrâ*, par exemple. La formation de Zarrûq en jurisprudence le conduisit à juger la validité du soufisme sur la base du fiqh, ce sur quoi Ibn 'Abbâd n'aurait jamais été d'accord. Malgré ces différences, on peut avancer que les enseignements d'Ibn 'Abbâd ont effectivement trouvé en Zarrûq « le champ favorable pour porter ses fruits »[1]. Zarrûq fut incontestablement l'héritier spirituel d'Ibn 'Abbâd, et il transmit cet héritage aux générations futures. L'influence d'Ibn 'Abbâd, il faut le souligner, n'a pas diminué avec le temps ; ses Lettres et son Commentaire restent des lectures classiques pour tous les représentants lettrés de la *Tarîqa*.

Plus près de nous, le Marocain Aḥmad Ibn 'Ajîba (m. 1223/1809)[2] fut directement influencé par Ibn 'Abbâd. II avait beaucoup en commun avec Ibn 'Abbâd et avec Aḥmad Zarrûq, car il comptait parmi les savants les plus renommés de son temps en jurisprudence, grammaire et commentaire coranique. Pendant ses études, il lut les *Uṣûl al-Tarîqa* de Zarrûq ; il resta pourtant un juriste (*faqîh*) et un pilier de la communauté intellectuelle de Tétouan jusqu'a l'âge de quarante-six ans, lorsqu'il délaissa l'étude et s'éloigna des hommes. II écrivit à cette époque:

> Mon passage de la science à l'action fut provoqué par ma rencontre avec les *Hikam* d'lbn 'Ata' Allah, dont je trouvai un exemplaire chez un ami. J'en fis une copie, puis je lus le *Commentaire* d'lbn 'Abbâd. Après cette lecture, j'abandonnai la science exotérique et me consacrai à la pratique dévotionnelle, à la remémoration de Dieu et à la prière sur l'Envoyé de Dieu.[3]

[1] S. Sqalli Houssini, 1992, p. 36.

[2] Aḥmad b. Muhammad b. 'Ajîba : cf. Shajarat al-nûr al-zakîyya, p. 400; J.-L. Michon, 1973, L›Autobiographie (fahrasa) du Soufi marocain, Ahmad lbn 'Ajîba, Milan, 1982.

[3] J.-L. Michon, Fahrasa, p. 63.

à composer des commentaires sur les *Hikam* d’Ibn ‘Ata’ Allah; dans chacun de ces commentaires, il consacre une partie de l’introduction à Ibn ‘Abbâd et à son propre commentaire. Comme Nwyia l’a fait remarquer, on sent « qu’Ibn ‘Abbâd était pour Zarrûq ce qu’Ibn ‘Ata’ Allah fut pour Ibn ‘Abbâd ». [7]

Zarrûq était un *faqīh*, et avait une forte tendance à créer des systèmes de pensée cohérents sur la base de principes généraux. [8] Poursuivant la tradition d’lbn ‘Abbâd, il enseigna un soufisme fondé sur l’intériorité des comportements en accord avec la Loi. Pour Zarrûq, le *fiqh* et le *taṣawwuf* sont des aspects complémentaires de la *Tarîqa*.[9] Ces deux aspects, la tendance à systématiser et la perception de l’intégralité du *fiqh* et du *taṣawwuf*, ont conduit Zarrûq à énumérer, d’une manière concise et organisée, les cinq principes de base de la *Tarîqa* Shâdhiliyya. Ces principes, dans le contexte de la présente étude, éclairent à quel point Zarrûq fut influencé par lbn ‘Abbâd. Ils montrent aussi combien fut grande cette influence sur la Shâdhiliyya dans les siècles qui suivirent. Dans son ‘*Uddat al-murîd al-ṣâdiq*, Zarrûq limite les principes des «Gens de la Voie» (*usûl al-qawm*) à quatre :

1. Suivre l’exemple mohammadien (Sunna) avec l’attitude correcte;

2. Témoigner de la grâce divine et faire preuve d’une gratitude constante;

3. Éloigner son attention de la création et de tout ce qui vient d’elle;

4. Tourner son regard vers Dieu seul.[10]

Dans une œuvre plus tardive, *Les principes de la Voie et les fondements de la Réalité* (*Uṣûl al-Tarîqa wa usus al-ḥaqîqa*)[11] œuvre consacrée entièrement à l’exposé des principes de la *Tarîqa*, Zarrûq adapte les principes mentionnés ci-dessus et en ajoute un cinquième:

1. Crainte de Dieu à l’intérieur et à l’extérieur;

[7] P. Nwyia, 1961, p. 24.

[8] Voir A. Zarrûq, 1992 ; Id., 1992. Ces deux œuvres sont caractéristiques de la nature systématique de la pensée de Zarrûq.

[9] A. Zarrûq, 1992 (qâ’ida 32), p. 227.

[10] A. Zarrûiq, 1998, p. 432-435.

[11] Ibn ‘Ayyâd, 1889, p. 94-96. Dans cette œuvre, longtemps considérée comme un classique de la Shâdhiliyya, Ibn ‘Ayyâd a inclut les Usûl de Zarrûq. Ce texte de Zarrûq a été réédité en 1997, dans une petite collection des oraisons de la Shâdhiliyya syrienne intitulée : Awrad al-tarîqa al-shâdhiliyya, ed. Nuh Ha Mim Keller. Pour une traduction en anglais de cette œuvre, voir A. Khushaim, 1976, p. 128-130.

comme une voie spirituelle, grâce à ses œuvres, ses enseignements et l'exemple de sa propre vie. Dans son *Kitâb alAsâlîb*, Ibn al-Sakkâk parle explicitement de ce rôle lorsqu'il compare Ibn 'Abbâd à Ibn Rushd (m. 520/1127), appelé parfois « le second Mâlik » parce qu'il avait rénové le rite malékite et lui avait donné un nouvel élan.[1] Ibn al-Sakkâk présente ainsi l'influence et la méthodologie d'Ibn 'Abbâd dans le cadre de la Shâdhiliyya :

> Ses écrits étaient groupés en Lettres, dont le fil conducteur (*madâruhâ*) était de guider le lecteur sur la voie de l'abandon de la force propre et du renoncement. De ces lettres émane le parfum des grands maîtres de la Voie (*anfâs al-akâbir*). Par la perfection de son comportement dans la voie shâdhilite, par l'élaboration doctrinale qu'il lui donna, par l'habilité avec laquelle il facilita l'accès au domaine spirituel grâce à l'emploi d'exemples simples et d'expressions courantes, il ressembla au *faqîh* l'imâm lbn Rushd. En effet, de même que celui-ci avait rendu accessible le rite malékite comme personne ne l'avait fait auparavant, de même lbn 'Abbâd fut le premier à rendre les principes (*haqâ'iq*) de la Shâdhiliyya accessibles. [2]

Aḥmad Zarrûq al-Burnûsî (m. 899/1494)[3] naquit à Fès, environ cinquante ans après la mort d'Ibn 'Abbâd. Il fut « l'héritier de la génération qui suivit immédiatement Ibn 'Abbâd »[4]. À Fès, il vécut dans une ambiance où Ibn 'Abbâd était vénéré comme un exemple à imiter. Zarrûq fut aussi un juriste (*faqîh*) par formation et par tempérament, il hérita donc aussi sous ce rapport de la pensée d'Ibn 'Abbâd. Zarrûq avait la plus haute estime pour Ibn 'Abbâd ; il le cite souvent sans ses œuvres,[5] et place celles-ci parmi les œuvres classiques du soufisme ; comme Ibn al-Sakkâk, il considérait Ibn 'Abbâd comme la personne qui avait défini et fait mieux comprendre les doctrines de la Shâdhiliyya. « La *Tarîqa* Shâdhiliyya, écrit-il, a été formulée (*taḥrîr*) dans les livres d'Ibn 'Ata' Allah, et la substance de son enseignement (*zubda*) se trouve dans les *Rasâ'il* d'Ibn 'Abbâd et dans son Commentaire ».[6] Zarrûq passa une grande partie de sa vie

[1] Muhammad b. Ahmad b. Rushd Abû Walîd (m. 520/1126) : il s'agit de l'aïeul d' Averroès. II a vécu et est mort à Cordoue et fut parmi les juristes malékites les plus fameux ; cf. Ibn al-Qâḍî, 1973, p. 254-255, et les références qui y sont citées.

[2] Ibn al-Sakkâk, Kitâb al-Asâlîb, ms. E. 384, fol. 108v.

[3] Sur lui, cf. Ibn al-Qâḍī, 1973, p. 128-131 et les références qui y sont citées ; P. Nwyia, 1961, p. 22-25 ; A. Khushaim, 1976, et l'article de S. Kugle.

[4] P. Nwyia, 1961, p. 1. Ce fut Zarrûq qui ramena la chaîne initiatique shâdhilite au Maroc, lorsqu›il revint à Fès en 879/1474-1475. Zarrûq fut donc un représentant majeur de la voie shâdhilite de son temps (A. Khushaim, 1976, p. 17-25).

[5] Voir A. Zarrûq, 1998, p. 395, 402, 417, 421 ; Id., 1992, p. 25, 37, 46, 51, 57, 94, 103.

[6] A. Zarrûq, 1998, p. 432.

d'Ibn ʻAbbâd ont tout d'abord marqué la *Tarîqa* Shâdhiliyya elle-même. Elles n'ont pas seulement éclairé les écrits d'Ibn ʻAtâ' Allah, l'initiateur de la tradition écrite de la *Tarîqa*, elles ont joué aussi un rôle important dans la définition des principes de la Voie, au Maroc, en Andalousie et dans le monde musulman oriental. Elles ont trouvé par ailleurs un écho dans le milieu des *ʻulamâ'* en général. Comme al-Ghazali l'avait fait avant lui avec l'*Ihyâ'* Ibn ʻAbbâd a contribué à l'intégration du soufisme, comme sujet d'étude, dans les sciences islamiques. Nous traiterons donc de ces influences en deux parties : la place d'Ibn ʻAbbâd dans la *Tarîqa* Shâdhiliyya, et dans les sciences islamiques.

Son influence dans la Shâdhiliyya

De son vivant déjà, Ibn ʻAbbâd a été regardé comme un exemple et un représentant majeur de la voie shâdhilite. Nous pensons pourtant que l'accent n'a pas été assez mis sur son rôle dans la formation de ce qui est devenu la *Tarîqa Shâdhiliyya* et sa doctrine. Dans des études récentes, plusieurs chercheurs ont souligné ce rôle. *ʻallâma* Taftazânî, par exemple, attire notre attention sur le rôle qu'Ibn ʻAbbâd a eu dans la préservation de l'héritage de la confrérie elle-même : « Ni al-Shâdhilî ni son disciple al-Mursî n'ont laissé d'œuvres sur le *taṣawwuf* ... Le mérite d'avoir préservé l'héritage de la *Tarîqa* revient à deux personnes : Ibn ʻAta' Allah al-Iskandarî, et Ibn ʻAbbâd avec le Commentaire des *Hikam* dans lequel il développe les concepts de la Shâdhiliyya comme personne ne l'avait fait auparavant. II suscita, avec ce commentaire et ses autres œuvres, la propagation des concepts de la voie shâdhilite au Maroc et en Andalousie. II a joué un rôle de premier plan dans le développement de la *Tarîqa* dans cette région et dans la préservation de son héritage spirituel pour tous les Shâdhilîs qui vinrent après lui »[4].

Muhammad al-Mannûnî corrobore ces deux aspects de l'influence d'Ibn ʻAbbâd: « Ibn ʻAbbâd fut un instrument dans la propagation de la Shâdhiliyya au Maroc, car il explicitait sa doctrine »[5]. L'idée qu'Ibn ʻAbbâd a eu un rôle dans la définition de l'école shâdhilite est en accord avec celle de l'un de ses tout premiers disciples, Ibn al-Sakkâk (m. 818/1415) : « Il a plongé dans cette mer profonde, ayant acquis l'intelligence de l'ensemble des voies de perfection (*turuq al-sulûk*), il en a extrait cette *Tarîqa* [la Shâdhiliyya] qui est une perle unique »[6]. Ibn al-Sakkâk laisse entendre qu'Ibn ʻAbbâd a sorti la *Tarîqa* de l'anonymat au Maghreb et l'a fait connaître

[4] Taftazânî, Ibn ʻAbbâd wa taṣawwafuhu, Le Caire, 1958, p. 233.

[5] M. al-Mannûnî, Waraqât ʻan hadârat al-marînîyîn, 2eme éd., Rabat, 1996, p. 411.

[6] Ibn al-Sakkâk, Kitab istinzâl al-latâ'if al-riḍwânîya bi-sharḥ al-qasîda al-muhhamdiyya de ʻAlî Wafâ (m. 807/1404), Ms. Escurial, 384, fol. 3 ; cité par P. Nwyia, 1961, p. 63.

Ibn ‘Abbâd, modèle de la Shâdhiliyya

Abdel Hadi Honerkamp al-Shâdhilî

Depuis le XIVème siècle, Muhammad Ibn ‘Abbâd (m. 793/1390)[1] est bien connu des mystiques musulmans par ses œuvres : le *Sharḥ al-Hikam* (appelé encore *al-Tanbîh*), Commentaire des *Hikam*[2] d’Ibn ‘Ata’ Allah, et les deux collections de lettres de direction spirituelle, *al-Rasâ’il al-sughrâ* et *al-kubrâ*. En Occident, les œuvres d’lbn ‘Abbâd ont attiré l’intérêt des chercheurs depuis plus d’un demi-siècle. Par ses fonctions de savant, de maître spirituel et de «conseiller du prince», il a été perçu par ceux qui l’ont étudié comme un érudit andalou, un juriste malékite, un représentant de la voie Shâdhilî et un directeur de conscience dans sa communauté.[3] Ses œuvres constituent un document témoignant de façon vivante des enseignements de base, des attitudes intérieures et extérieures de cette voie. Son exemple, transmis par sa correspondance personnelle, permet également de comprendre comment ces principes forgent, par un processus de transformation, l’aspirant: la Shâdhiliyya est une voie fondée d’une part sur la conformité à la Loi (*Sharî’a*), et d’autre part sur les convenances spirituelles (*adab al-Tarîqa*). Par sa personnalité et ses œuvres, Ibn ‘Abbâd illustre donc l’unité profonde et l’interaction des deux pôles de l’enseignement de l’École Shâdhilite.

Ce qui suit a pour but de traiter de l’influence qu’Ibn ‘Abbâd a exercée sur la formation spirituelle des générations qui ont suivi. Une influence qui s’est exercée, d’une part à travers ses œuvres - comme un ensemble cohérent de critères à la fois théoriques et pratiques - et d’autre part par son exemple, fondé sur un équilibre entre la voie d’intériorité et la Loi. Cette influence jouera un rôle particulièrement important sur deux cercles de savants musulmans, les juristes (*‘ulamâ’*) et les soufis (*mutaṣṣawifa*). Les œuvres

[1] Son nom complet est Muhammad b. Ibrahim b. ‘Abd-Allah b. Malik b. Ibrahim b. Muhammad b. ‘Abbâd al Nafzî al-Rundî (cf. A. B. al-Tumbukti, 1989, p. 472).

[2] Sur cet ouvrage, voir P. Nwyia, 1972.

[3] La Fahrasa de Yaḥyâ al-Sarraj est la première source d›information que nous possédions puisqu›elle date de l’époque d’Ibn ‘Abbâd. Pour d’autres sources en arabe, voir Nayl al-ibtihâj, p. 472-476 ; Ibn al Qâḍî, 1973, I, 315 ; M. al-Kattânî, 1896, II, 133-142. Voir aussi P. Nwyia (1961, p. 2-27) ou l’auteur a étudié en détail les sources arabes en suivant leur ordre chronologique. Pour les références complètes des études contemporaines, on se reportera á P. Nwyia, 1961, p. 28-41, et aussi J. Renard, 1986, p. 1-54.

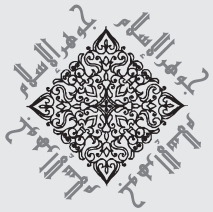

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique
Tunisie

Numéro 5/6
22ème année

Safar 1445H/Septembre 2023

Prix: 5 D.T. - 5 €